سقوط حزب توده

عرض تحليلي لتاريخ الحزب الشيوعي الايراني وانهياره أمام الاسلام

محمد علي حسين

أستاذ مساعد في جامعة طهران

منظمة الاعلام الاسلامي

قسم العلاقات الدولية

مكتبة
مؤمن قريش

moamenquraish.blogspot.com

بسم الله الرحمن الرحيم

سقوط حزب توده ٦٢

عرض تحليلي لتاريخ الحزب الشيوعي الايراني وانهياره أمام الاسلام

محمد علي حسين

أستاذ مساعد في جامعة طهران

مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه
(الإمام الصادق ع)
moamenquraish.blogspot.com

الكتاب: سقوط حزب توده.

إعداد: الاستاذ محمد علي حسين.

الناشر: منظمة الاعلام الاسلامي ــ قسم العلاقات الدولية

المطبعة: سبهر ــ طهران ــ الجمهورية الاسلامية في ايران

عدد النسخ: ١٠,٠٠٠ نسخة

التاريخ: الطبعة الاولى: ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م

مقدمة الناشر:

قراءنا الاعزة:

لقد اهتز العالم لنبأ الهجوم الذي شنه أبطال حرس الثورة الاسلامية على أوكار حزب العمالة الروسية «حزب توده» فاذا بها تنهار لأول وهلة بفعل ضربات جنود الاسلام، و اهتزمرة ثانية عندما استمع الى الاعترافات الخطيرة التي أدلى بها زعماء التيار الشرقي في ايران و أعلنوا فيها عمالتهم و جاسوسيتهم الصريحة للاتحاد السوفيتي، و راحوا يكشفون فيها عن تشكيلاتهم و أوراقهم و مخططاتهم كلها...

و هكذا لاحظنا:

أولاـ كيف اثبتت الثورة الاسلامية في ايران موقفها القوي ضد كل القوى الكافرة شرقيها و غربيها، و انتهاجها الخط الاسلامي المستقل.

ثانياـ كيف فضح الشيوعيون الايرانيون الشيوعية العالمية بأسرها فاذا بها لا تعدو كونها غطاءً لمطامع القوة الشرقية و نفوذها و استغلالها الشعوب عبر طرحها للشعارات البرّاقة. و بالتالي وضح للعالم كيف أن الشيوعية بلغت مرحلة الطريق المسدودة.

ثالثاًـ كيف يقف الشعب بكل قطاعاته خلف ثورته الاسلامية و

قائده الامام؛ عاملا على ضرب الأوكار الخيانية مهما تشابكت و تعقدت واختفت؛ فاذا بها تنهار لأول لحظة امام جماهير الايمان الغاضبة.

رابعاً ــ كيف انهارت كل المؤامرت التي خطط لها الاستكبار العالمي و فشلت الواحدة تلو الأخرى بفضل عناية الله و رعايته للمؤمنين.

و اننا اذ نقدم هذا الكتاب النافع لنأمل ان يقوم القراء الكرام بمتابعة فصوله الواحد تلو الآخر و الاعتبار الجيد بما فيه، و بالتالي نأمل ان يعجب من خدعته المبادئ الالحادية ــ الاشتراكية او الرأسمالية ــ فيرجع الى طريق الصواب و الحق و يعلم أن السنن المضلة لن تعود عليه بشيء، و أن سبيله الحق هو سبيل الاسلام لاغير.

و الله الموفق...

منظمة الاعلام الاسلامي
قسم العلاقات الدولية

بسمِ الله الرحمٰنِ الرحيم

«قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰ ٱللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ»

(النحل، ٢٦).

تاريخ حزب توده

- المرحلة الاولى: ۱۹۲۱ــ ۱۹۳۷.
- المرحلة الثانية: ۱۹٤۱ــ ۱۹٥۳.
- المرحلة الثالثة: ۱۹٥۳ــ ۱۹۷۸.
- المرحلة الرابعة: ۱۹۷۸ــ ۱۹۸۳.

الأحزاب الشيوعية في العالم الاسلامي خاصة تعاني من مشكلتين أساسيتين:

الاولى: مشكلة التناقض بين ايديولوجيتها والايديولوجية الاسلامية السائدة، **والثانية:** التناقض بين الاستقلال السياسي للبلد الذي تعيش فيه، وتبعية هذه الأحزاب سياسيا للدولة الشيوعية «الأم». هذا الى جانب أزمة حادة تشترك فيها هذه الأحزاب مع كل الأحزاب الشيوعية في العالم، وتتمثّل في التراجع عن القوالب الماركسية اللينينية بسبب اصطدام هذه القوالب مع الواقع التطبيقي والفطرة الانسانية.

العقبات التي تواجهها الشيوعية في العالم الاسلامي تتضاءل كلّما تضاءل الوعي الاسلامي بين المسلمين، وكلّما ازداد نفوذالعالم الغربي في بلدان المسلمين. فالشيوعيون يجدون في الفراغ الفكري والعقائدي الذي يعيشه المسلمون خير أرضية لنشر أفكارهم، كما انهم يجدون في جو الاستغلال الغربي لعالمنا الاسلامي خير فرصة لعرض اطروحتهم زاعمين أنها المنقذ للشعوب مما تعانيه من تسلُّطٍ واستغلال.

و من الطبيعي أن الشيوعية تحس بالافلاس كلما ازداد الوعي بين المسلمين، وتصاعدت روح الاستقلال في نفوسهم. ومن هنا بدأت أوراق الحزب الشيوعي الايراني (توده) تحترق الواحدة بعد الاخرى في الدولة الاسلامية أمام شعار «لاشرقية ــ لاغربية ــ جمهورية اسلامية». حتى بلغ بهذا الحزب أن دخل مرحلة **«الاعتراف بالوصول الى طريق مسدود، وبالخيانة الكبرى»**. و هي

ظاهرة جديدة تماما في تاريخ الأحزاب الشيوعية، ومن الممكن أن تشكّل منعطفا في الحركة الشيوعية العالمية على الاطلاق.

قبل أن نلقي الضوء على مرحلة النهاية من تأريخ الحزب الشيوعي الايراني (توده)، لابد من إلقاء نظرة ــ ولوعاجلة ــ على تأريخ هذا الحزب في إيران، ليتبيّن لنا مدى ارتباطه بروسيا تأريخيا، ومدى ما أحاط بمواقفه من تناقض نتيجة تبعيّته السياسية والفكرية.

١

المرحلة الاولى
تأسيس الحزب الشيوعي الايراني

نشأت بدايات هذا الحزب في أوساط بعض الايرانيين القاطنين في منطقة باكو الروسية خلال أوائل هذا القرن[1]، وظهر بعضهم في الحركة الدستورية (١٩٠٦ــ ١٩٠٨) ليمثّل الجناح (التقدّمي) في هذه الحركة مقابل قيادة علماء الدين، التي كانت لها الكلمة الاولى في توجيه الجماهير. وجدير بالذكر أن هذا الجناح (التقدّمي) كان يضم الشيوعيين من أمثال «سليمان ميرزا اسكندري»[2] كما كان يضم عملاء بريطانيا المعروفين من أمثال «سيد حسن تقي زاده»، وكان يجمع بينهم العداء للتيّار الديني في ايران.

بعد ثورة اكتوبر الروسية (١٩١٧) أنشأ هؤلاء الشيوعيون تنظيما أسموه «حزب العدالة» واتّخذ من باكو مركزاً له، و فتح له فروعا في المدن الايرانية، خاصة المدن الشمالية المجاورة لروسيا. ومن جملة مؤسّسي هذا الحزب: جوادزاده (پيشه وري)، وحيدر عمو أوغلي، واحسان الله خان، و آوانسيان، وجودت، ثم انضم اليهم كام بخش والدكتور جاويد. (سيأتي الحديث عن الشخص الأول في حركة الغابة وانفصال آذربايجان، وعن الثاني والثالث في حركة الغابة وعن الرابع والخامس في الاعترافات).

وبقرار من الأممية الثالثة (١٩٢١) تمّ تشكيل الحزب الشيوعي الايراني في ميناء أنزلي على ساحل بحر الخزر في ظل احتلال الجيش الأحمر لمدينة رشت

الشمالية.[٣]

هلّل الشيوعيون لتولّي رضاخان (الذي سميّ فيما بعدرضا شاه وهو والد الشاه الأخير المقبور) عرش ايران (١٩٢٥)، ولعب سليمان ميرزا الاسكندري ــ الذي كان عضوا في البرلمان الايراني حينما استولى رضا شاه على السلطة ــ ومعه خمسة عشر عضوا مرتبطا بالاتحاد السوفيتي، لعب دورا في اقناع المجلس بالتصويت لصالح رضاخان.

وما أن استتبّ الأمر لرضاخان، حتى حظر كل نشاط ينافس سلطته بما في ذلك نشاط الحزب الشيوعي الايراني، وفي سنة ١٩٣٧ اعتقلت شرطة رضاخان ٥٣ يساريا، أكثرهم من أعضاء الحزب الشيوعي وبينهم الدكتور تقي آراني، الدماغ المفكر للحزب آنذاك ، الذي تُوفيّ في السجن تحت التعذيب.

هذه المجموعة التي سميت مجموعة الثلاثة والخمسين، أُعدم بعض أعضائها، وأفرج عن أعضائها الآخرين فيما بعد ــ كماسنرى ــ فشكلوا حزبا شيوعيا آخر أسموه حزب توده.

لقد حاولوا ــ عن طريق تغيير اسم التنظيم، وعن طريق اتخاذ نهج جديد سنراه في المرحلة الثانية ــ أن يجدوا لهم موضع قدم على الساحة الايرانية الساخطة على الشيوعية، وعلى ما ارتكبه الشيوعيون في مرحلتهم الاولى هذه.

أما أهم الخيانات التي ارتكبها الشيوعيون في هذه المرحلة فهي:

١ ــ ارتباط الشيوعيين بالسياسة السوفيتية

لم يكن يخفى على أحد ان الحزب الشيوعي الايراني نشأ تحت رعاية الجيش الأحمر في (انزلي)، وبقرار من الأممية الثالثة، ومن أفراد حزب العدالة الذي اتخذ من باكو السوفيتية مركزا له. كما ان أعضاءه من أمثال (حيدر عمواوغلي) و (پيشه وري) و (احسان الله خان) معروفون بعمالتهم لروسيا السوفيتية، وقد برزت عمالتهم لجميع الشعب الايراني في حركة الغابة وفي حركة انفصال مقاطعة آذربايجان الايرانية، كما سنرى.

والتبعية لروسيا السوفيتية لها في نفوس الشعب الايراني حساسيات متعددة، حساسيّة وطنية، وحساسية فكرية عقائديّة، اضافة الى حساسية تأريخية.

فروسيا القيصرية احتلت في زمن كاترين الثانية (١٧٦٣ــ ١٧٩٦) جميع المناطق الايرانية **الواقعة غرب بحر الخزر** بما في ذلك گرجستان و باكو وطالش وشماخي وگنجة، وكانت كاترين تنوي احتلال انزلي ورشت لولا أن عاجلتها المنية.[٤]

سقوط هذه الأقاليم الاسلامية بيدالروس أعقبته حروب بين ايران وروسيا زمن (فتح علي شاه) القاجاري، انتهت **بهزيمة** جيش ايران. سلسلة الحروب الاولى استمرت عشرة أعوام وانتهت عام ١٨١٣م بتوقيع اتفاقية (گلستان)، والثانية وضعت أوزارها عام ١٨٣٧م بتوقيع اتفاقية (تركمن جاي) التي فصلت رسميا أقساما من شمال ايران وألحقتها بروسيا، كما فرضت نظام (الحصانة الديبلوماسية للأجانب = الكاپيتاليسيون) على ايران.

و جدير بالذكر أن سقوط هذه الأراضي الاسلامية بيد الروس جاء في أشد فترات انعزال نظام الحكم عن جماهير الأمة، وما كان للنظام الايراني سند سوى فرنسا، لكن هذا السند الوحيد تراجع ايضا عن حماية (فتح علي شاه) حين تم **الاتفاق** بين امبراطور روسيا ونابليون[٥]

هذا وان السفارة الروسية والسفارة البريطانية كانتا **تحكمان** ايران، والسفارة الروسية كانت معقل المعادين للحركة الدستورية، وبها لاذ محمدعلي شاه عدو الدستورية، بعدأن احتلّ الثوار الدستوريون طهران (١٩٠٨)، لكنّه عاد بمساعدة روسيا عام (١٩١١). ليستعيد منصبه، فواجه مقاومة القوى الوطنية وتراجع هاربا الى اوروبا[٦].

كل هذه الخلفيات التأريخية خلقت حساسيات في نفس الشعب الايراني من (الجارة الشمالية)، وممّا لاشك فيه ان هذه الحساسيات تنعكس على كل (تابع) لهذا البلد، وان تغيير النظام في روسيا لم يُزِلْ هذه الحساسيات خاصة وأن النظام الجديد استمرّ ينظر بعين الطمع الى ثروات ايران، وانه تسلّح بايديولوجية معادية للأديان، و بعنف «ثوري» يسحق كل المتديّنين المسلمين من أبناء الأراضي الاسلامية الايرانية المحتلة.

٢ ــ خيانة الشيوعيين لحركة الغابة

زعيم هذه الحركة «ميرزا كوچك‌خان»، وهو رجل دين من جيلان (محافظة في شمال ايران)، اتصل بأفراد جمعية «اتحاد اسلام»[٧] وانتمى اليها عام (١٩١٥) وأقنع أصحابه بضرورة الثورة المسلّحة باعتبارها الطريق الوحيد لنجاة الامة. وحين عزم على ذلك خلع عمامته وعباءته وارتدى بزة الحرب ليضع أول لبنة للثورة المسلّحة في ايران.

حاولت روسيا و بريطانيا وحكومة ايران أن تقمع هذه الحركة التي سمّيت بحركة الأحراش أوالغابة، لكنها فشلت في كل تلك المحاولات.

أضحت منطقة جيلان بأجمعها تحت سيطرة حركة الغابة، وفي تلك الأيام قامت الثورة الشيوعية في روسيا (١٩١٧) وأعقب قيام هذه الثورة انسحاب الجيش الروسي من ايران، وخلال عمليات الانسحاب وجّه الجيش الروسي ــ بمساعدة القوات البريطانية ــ ضربات قاصمة لأفراد حركة الغابة كادت أن تودي بهذه الحركة و تسحقها، لولا أن عادت الى تجديد قواها ثانية.

في أعقاب هذه الأوضاع أنزلت روسيا السوفياتية قوات في ميناء أنزلي، وأجرت محادثات مع ميرزا كوچك خان حول اعلان الثورة في ايران، واتّفق الطرفان على أن يعلن كوچك خان تشكيل جمهورية جيلان باسناد من الاتحاد السوفيتي، على أن يمتنع الروس عن بثّ دعاياتهم الحزبية والايديولوجية، وعن ارسال قوات أخرى الى ايران، وعلى أن يصونوا أصالة الثورة الايرانية.

اعلنت حركة الغابة تشكيل جمهورية جيلان، وكان الميرزا الذي ترأس جمهورية جيلان ينوي احتلال العاصمة، وتقدمت قواته بالفعل حتى صارت على مقربة من طهران.

وفي هذه الأثناء نقض الشيوعيون كل معاهداتهم مع ميرزا كوچك‌خان و بدأوا بحرب إعلامية ضد الاسلام. ولما اعترض الميرزا على هذه التصرّفات، لم يحظ اعتراضه باهتمام لينين «والرفاق الايرانيين»، بل دبّر بعض «الرفاق الايرانيين» مؤامرة للاطاحة بالميرزا، وكان على رأس المتآمرين (الرفاق)

احسان الله خان، رئيس وزراء جيلان، وخالوقربان رئيس الحربية، وجواد زاده (بيشه وري) الذي أسّس فيما بعد جمهوريته الديمقراطية في آذربايجان الايرانية. وعندما فشلت هذه المؤامرة، واصل السوفيت مساعدتهم للميرزا عن طريق إرسال شحنة أسلحة لأنصار حركة الغابة بواسطة الجاسوس الروسي المعروف (حيدر عمواوغلي)، و بذلك حدثت مصالحة بين الميرزا و «الرفاق» المتآمرين، وفي هذه المصالحة تم التأكيد ثانية على الامتناع عن أي نشاط معاد للاسلام.

في خضمّ هذه الأحداث جرت صفقة بين الحكومة الثورية السوفيتية والامبريالية البريطانية تقضي ــ فيما تقضي ــ بتصفية حركة الغابة. وأعقب ذلك اتّصال السفير السوفيتي بالشاه (أحمد شاه القاجاري) ليطمئنه بشأن قرب انتهاء هذه الحركة.

بدأت المؤامرة الجديدة ضد حركة الغابة على يدخالوقربان، الذي دعا الميرزا وسائر زعماء الحركة الى اجتماع ثم أطلق عليهم النار، لكنه لم ينجح في قتل القائد وقمع الحركة، واتّجه الجيش الحكومي بعد ذلك بقيادة (رضا خان)، وكان قائدا للجيش آنذاك، الى غابات جيلان حيث قمع هذه الحركة بالتعاون مع (الثوريين الماركسيين اللينينيين).[٨]

٣ ــ دعم الشيوعيين لحكومة رضاخان

الانقلاب العسكري الذي دَبَّرهُ رضاخان (١٩٢٠) واعتلاؤه عرش ايران (١٩٢٥) رافقه قلق كبير في أوساط المتديّنين والوطنيين لما كان يتّصف به هذا الرجل من قسوة و بطش وتعنّت، ظهرت عليه أيام كان قائدا للجيش في النظام القاجاري. وكانت الصحف الوطنية في ايران تصف رضاخان بأنه عميل للأجنبي (أي عميل لبريطانيا)[٩].

وأمام هذه المخاوف والشكوك والمعارضات السائدة في الجو الديني والوطني تجاه رضاخان، حصلت في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي قناعة بأن تغيير النظام على يد رضاخان خطوة على طريق الثورة البرجوازية ولابد من تأييده.

كتب ايرانسكي آنذاك في مجلة (الشرق الجديد): ان رضا شاه انسان انبثق من بين الجماهير، و يستطيع أن ينقل ايران من مرحلة الاقطاعية الى مرحلة

الحضور الفعّال على المسرح السياسي والاقتصادي.[١٠]

و يذكر ملك الشعراء بهار في كتابه «موجز تاريخ الأحزاب السياسية» انه اتصل بالسكرتير الأول للسفارة السوفيتية في ايران وأوضح له شخصية رضاخان محاولا اقناعه بالكف عن دعمه، فأجابه هذا السياسي السوفيتي:

«ان رضاخان وطني معارض للتعصّب الديني ومعاد للخرافات والرأسماليين والاقطاعيين، ومخالف للتدخل البريطاني في شؤون ايران».[١١]

و في ظل التأييد السوفيتي والبريطاني لرضاخان استطاع هذا الرجل أن يفرض على ايران أفظع ديكتاتورية عرفها تأريخ هذا البلد، فقلب ظهر المجن حتى للحزب الشيوعي الذي أيّده بوحي من الاتحاد السوفيتي، وأزهق أرواح كل الذين ينبسون ببنت شفة في معارضته، وصادر الأموال وصَيَّر من نفسه أثرى رجل في العالم، وقضى على كل المظاهر الدينية وفرض السفور الاجباري في ايران.

إن تأييد الحزب الشيوعي لرضاخان يشكّل صفحة سوداء أُخرى في تأريخ مواقف هذا الحزب، وعاملاً على عزلته عن صفوف الجماهير المسلمة والقوى الوطنية المخلصة.[١٢]

المرحلة الثانية
تأسيس حزب توده

بعد سقوط رضاخان (١٩٤١) سعى رئيس الوزراء محمدعلي فروغي[١٣] الى امتصاص نقمة الجماهير من دكتاتورية رضاخان، فعاقب بعض جلادي نظام رضاخان، وأطلق الحريات، وأفرج عن السجناء السياسيين بمن فيهم أعضاء الحزب الشيوعي الايراني.

و في نفس العام المذكور، و بعد أسابيع من احتلال الحلفاء لايران تشكل حزب توده، وهذا الحزب ضمَّ معظم أعضاء الحزب الشيوعي الايراني المفرج عنهم، لكنه حاول أن يتظاهر بأنه حزب جديد لاعلاقة له بالحزب الشيوعي الايراني، وحاول أن يركز على تأييده للدستور (مستغلا الجوالسائد آنذاك)، وجعل في مقدمة أعضاء لجنته المركزية البالغين ٥٣ شخصاً، اثنين من الشيوعيين المعروفين بدفاعهم عن الدستور ومن أنصار الحركة الدستورية، وهما: سليمان ميرزا الاسكندري، ونورالدين الألموتي.[١٤]

تأكيد حزب توده على تأييد الدستور الايراني يعني تأييده بشكل غير مباشر لاستقلال إيران ولعدم تبعيتها لأي قوة كبرى، كما يعني تأييده للاسلام باعتباره دين الدولة وأساس تشريع القوانين.

هذا الاتجاه الجديد للحزب الشيوعي الايراني ــ أي اتجاهه نحو قطع علاقته بسوابقه وتأكيده على انتمائه سياسيا وفكريا لارض إيران ــ اتخذه حزب

توده ليتلافى مواقفه السابقة التي جعلته ممقوتا في أنظار الجماهير ومعزولا عن كُلّ الفئات المخلصة ــ الوطنية والدينية ــ.

توغل حزب توده في شعاراته الوطنية، فدعا الى تشكيل (جبهة الحرية) للدفاع عن الديمقراطية والاستقلال، وتشكلت هذه الجبهة بالفعل عام ١٩٤٣، وأصدرت ١٤صحيفة كلها تدعو بشكل مباشر وغير مباشر الى السياسة التي يتبناها حزب توده.[١٥]

هذا الموقف المنافق المهادن والمداهن مع الحركات الوطنية لم يدم طويلا، إذ سرعان ماوجد حزب توده نفسه ملتزما بالدفاع عن مصالح البلد الشيوعي الام، وهذا ما ادى الى انهيار الجبهة المذكورة عام ١٩٤٤. وأوّل موقف خياني وقفه هذا الحزب في هذه المرحلة الجديدة مطالبته بمنح الاتحاد السوفيتي امتيازات نفط الشمال، ثم توالت خياناته التي سنشير اليها فيما يلي باقتضاب:

١ ــ حزب توده و امتياز نفط الشمال

منذ سنة ١٩٤٣ كان (ساعد) رئيس وزراء ايران آنذاك يجري محادثات سرية دون علم البرلمان مع الشركات الأميركية والبريطانية لمنحها امتيازات النفط. وفي شهر آذار عام ١٩٤٤ و بعد أن اذيع نبأهذه المحادثات في المجلس، قال النائب الدكتور (رادمنش) معبّرا عن وجهة نظرحزب توده: «إنّني ورفاقي نعارض بشكل تام إعطاء الامتيازات الى البلدان الأجنبية».

بعد تصريح رادمنش بشهر واحد، وصل وفد سوفيتي يرأسه (كافتارأدزه) الى طهران حيث أجرى محادثات مع (ساعد) بشأن الحصول على امتياز نفط شمال ايران. هذه المحادثات أثارت غضب الشعب الايراني المسلم ومعارضة القوى الوطنية، كما أثارت قلق البريطانيين والأمريكيين الذين أرادوا ابرام عقود الحصول على الامتيازات النفطية، دون اثارة أية ضجة شعبية.

أميركا و بريطانيا، اللتان رأتا تطلّع الروس الى الحصول على الامتياز واثارة الرأي العام الايراني، أوعزتا الى عميلها (ساعد) أن يرفض ابرام أية عقود لمنح امتيازات نفطية مادامت الحرب لم تضع أوزارها، وأعلن (ساعد) ذلك.

حزب توده، الذي كان قدأعلن من قبل رفضه لإعطاء أي امتياز نفطي،

عاد فغيّر وجهة نظره بعد وصول الاقتراح السوفيتي وأعلن أنه (لايمكن معارضة مبدأ الامتيازات بشكل عام. فالمسألة ترتبط بالظروف والملابسات والأحوال العامة لهذه الامتيازات!).[١٦]

أميركا و بريطانيا تنازلتا للأسباب التي ذكرناها عن طلبها بشأن الحصول على الامتيازات، لكن الاتحاد السوفيتي بقي مصرّا على طلبه، وهدد بقطع علاقاته مع ايران ان رُفِضَ اقتراحه.

إحسان طبري، أحد زعماء و مفكّري حزب توده، كتب مقالاً دافع فيه عن إعطاء امتياز نفط الشمال للسوفيت، وقال: «ينبغي أن نعترف ان لحكومة الاتحاد السوفيتي مصالح أمنية جادّة في ايران، تماما كما نعترف بمصالح بريطانيا وأميركا في ايران..»[١٧]

وكتبت صحيفة (رزم) معبّرة عن موقف حزب توده من إعطاء امتياز نفط الشمال الى الاتحاد السوفيتي تقول: «نعتقدأن إعطاء امتياز استخراج نفط شمال ايران الى السوفيت هو لصالح ايران سياسيا واقتصاديا ،إذ ان إعطاء هذا الامتياز يحول دون تشكيل طابورخامس في النواحي الشمالية لايران، أي في المنطقة الحدودية الحسّاسة لجارتنا المقتدرة، ويؤدّي الى توطيد العلاقات السياسية والاقتصادية بين ايران والاتحاد السوفيتي».[١٨]

و هذه المواقف لاتحتاج الى تعليق. فهي واضحة الدلالة على عمق تبعيّة حزب توده للإتحاد السوفيتي، حتى في هذه المرحلة الجديدة.

٢ ــ موقف حزب توده من انفصال آذربيجان الايرانية

منطقة آذربايجان الايرانية كانت أيام الحركة الدستورية معقل الأحرار والثوّار، غير أن عوامل الفقر والجوع التي تفشّت في هذه المنطقة عقب سقوط رضاشاه (١٩٤١) جعلتها مرتعا خصبا لنشاطات حزب توده، وفي هذه المنطقة أسّس سيد جعفر جوادزاده (پيشه وري) الحزب الديمقراطي الآذربايجاني (اي الشيوعي). واستغل ظروف الحرب العالمية الثانية فاتّصل بـ (جعفر باقروف)

رئيس جمهورية آذربايجان السوفيتية وكسب موافقة الحكومة السوفيتية بشأن اعلان (جمهورية آذربايجان) وأعلن نفسه رئيسا للوزراء. وكان الحزب الديمقراطي الآذربايجاني يتخذ من المسألة القومية وإثارة الحزازات بين الترك والفرس محورا مهما لسياسته[١٩]، ومع ان أهالي اذربايجان، بل كل الايرانيين كانوا يمقتون الحكومة المركزية، لكنهم وجدوا في انفصال آذربايجان الايرانية وانضوائها تحت لواء الروس إهانة لمشاعرهم الوطنية ولمقدساتهم الدينية، فثار سخط كل الفئات الوطنية والدينية المخلصة، ولم يحظ هذا العمل إلاّ بتأييد الاتحاد السوفيتي وحزب توده، الذي أعلن تأييده غير المشروط لهذه الجمهورية.

و جدير بالذكر أن الديمقراطيين الكردستانيين تحرّكوا عقب إعلان جمهورية آذربايجان السوفيتية، فاتّصلوا بجعفر باقروف في «باكو» وحصلوا على الدعم المادي والمعنوي من الحكومة السوفيتية، وأعلنوا عن تشكيل حكومة كردستان المستقلة بقيادة (قاضي محمد).

هذا الدعم الشيوعي للحركات الانفصالية المرتبطة سياسيا بروسيا السوفيتية أدّى الى ازدياد الهوّة بين حزب توده والقوى الدينية والوطنية المخلصة. ونؤكّد هنا ان هذه الجمهوريات المنفصلة لم يكن لها رصيد سوى الدعم السوفيتي، لذلك سرعان ماسقطت جمهورية آذربايجان بعد انسحاب الجيش الأحمر من ايران، وفرّ (بيشه وري) ورفاقه الى الاتحاد السوفيتي تاركين أهالي آذربايجان تحت القصف المدفعي للحكومة المركزية.

٣ ــ اشتراك حزب توده في حكومة «قوام» اليمينية

أحمد قوام هو حفيد ميرزا محمد قوام الدولة، مؤسّس اللوج الماسوني في خراسان وشقيق ميرزا حسن وثوق الدولة، عميل بريطانيا وعاقد اتفاقية ١٩١٩ الاستعمارية بين ايران و بريطانيا.[٢٠]

تولّى قوام منصب رئاسة الوزراء بعد انقلاب رضاخان، فأبدى خدمة فائقة للبريطانيين والأميركيين، ثم عزله رضاخان تقرّبا للروس، و بعد عشرين عاما عاد قوام هذا لتولّي منصب رئاسة الوزراء ثانية عام ١٩٤٦. و بدأ ــ منذ مجيئه ــ يغازل الاتحاد السوفيتي و يبدي استعداده لاجراء محادثات مع السوفيت

بشأن مسألة آذربايجان. كما شكل قوام (الحزب الديمقراطي) ليحصل على الأغلبية في المجلس، وليقف بوجه التيار الديني المتصاعد بقيادة آية الله الكاشاني.[٢١]

ومن جهة اخرى وجد حزب توده نفسه معزولاً عن الحركات الوطنية وعن الجماهير المتديّنة، بسبب مواقفه الخيانية المذكورة. فلجأ الى الاتحاد مع حزب قوام(الديمقراطي)وشكّل جبهة ائتلافية، كمادخل في وزارة قوام الائتلافية بثلاثة أعضاء،هم: الدكتور كشاورز وزيراً للتعليم، والدكتور يزدي وزيراً للصحة، وايرج إسكندري وزيراً للتجارة. هذه التشكيلة الائتلافية لم تدم أكثر من ٧٥ يوما. لكنها خلّفت لحزب توده تبعة سوداء أضيفت الى سوابقه الخيانية، إذ بموقفه هذا أثبت ان الغاية لديه تبرّر الوسيلة، حتى ولو كانت هذه الوسيلة الانضواء تحت لواء حزب يميني وحكومة يمينية للحصول على موضع قدم في الساحة السياسية.

٤ ــ موقف حزب توده والدولة (الأم) من تأميم النفط الايراني

منذ عام ١٩٣٣ كان البريطانيون يملكون ــ بموجب اتفاقية ــ امتياز النفط الايراني في المنطقة الجنوبية كلها.

الفئات الوطنية والدينية وعلى رأسها آية الله الكاشاني سعت إلى إلغاء هذا الامتياز، وتحرّك مصدّق في البرلمان الايراني للمصادقة على لائحةٍ بهذا الشأن. وفي عام ١٩٥١ أسند اليه البرلمان منصب رئاسة الوزراء شريطة أن يؤمّم النفط الايراني.

كان الشارع الايراني مهيّئاً لمساندة كل خطوة في هذا المجال بفضل حملة التوعية التي نهضت بها الفئات الدينية والوطنية بين جميع فئات الشعب.[٢٢] وأصبح مطمح كل ايراني أن يتولى الايرانيون بأنفسهم عمليات استخراج النفط وبيعه في الأسواق العالمية.

وقد وجدت اللائحة التي قدّمها مصدق بهذا الصدد لمجلس النواب

(البرلمان) صدىً عميقا بين المواطنين، لكن حزب توده عارض هذه اللائحة منذ البداية، بحجّة أن كل خطوة تقدمية معادية للامبريالية ينبغي أن يتّخذها حزب (الشغيلة) المتمثّل بحزب توده، وراح يصف كل الفئات الدينية والوطنية التي قدّمت هذه اللائحة بأنها برجوازية وعميلة وخائنة، كما وصف مصدّقاً وسائر الوطنيين بأنهم آخر ورقة بيد الاستعمار، وأنهم يستهدفون إغفال عامة الناس والتغرير بهم.[٢٣]

انطلاقا من هذه النظرة، عارض حزب توده مشروع تأميم النفط، حتى انه ذهب الى وصف الغاء اتفاقية نفط الجنوب بأنها (خدعة وعملية مستحيلة مؤكّداً على أن مثل هذه الخطوة لايمكن تحقيقها إلاّ حينما يستولي حزب توده على السلطة).[٢٤]

ودأبت الصحف المرتبطة بحزب توده آنذاك على دعوة الناس الى السكوت وعدم الانسياق وراء شعارات تأميم النفط حتى يحين انبثاق الدولة الديمقراطية (الشيوعية).

واستمر حزب توده في ألاعيبه التي يطول شرحها بينما استطاع الشعب بقيادته الدينية والوطنية ان يحقق تأميم النفط.

على أثر التأميم قاطعت بريطانيا نفط ايران، وتعرّضت البلاد الى أزمة اقتصادية. مما دفع بحكومة مصدّق الى طرح سندات قرض وطنية لمواجهة الأزمة. واتّخذ حزب توده هذه المرة أيضا موقفا معارضا وأعلن: «ان مشروع اقتراض (٣٠٠) مليون تومان، عن طريق بيع سندات القرض، لم يُطرح إطلاقا من أجل التغلب على الأزمة المالية لخزينة الدولة، بل انه خطوة تستهدف تضليل الشعب، والتظاهر بفقر الميزانية، ومن أجل التمهيد لتسلُّم قرض أميركي وقبول الشروط التي تفرضها أميركا، ومن اجل التغطية على عمالة الحكومة للامبريالية».[٢٥]

حزب توده يعلن هذا في وقت عمد الاستكبار الأميركي والبريطاني الى مقاطعة نفط ايران لشلّ اقتصادها. وكان الطريق الوحيد للتخلّص من هذا المأزق آنذاك ينحصر في الاستقراض الوطني.

ان مقاطعة حزب توده لشراء سندات القرض الوطنية كانت تنسجم تماما مع موقف روسيا والمنظومة الاشتراكية. فحكومة مصدّق أعربت للبلدان

الاشتراكية ــ بما فيها الاتحاد السوفيتي ــ عن استعدادها لبيع النفط الايراني بخصم قدره ٥٠ بالمئة لمدة ثلاث سنوات. لكنّ هذه البلدان أبت أن تتعامل مع ايران، مع ان الاتحاد السوفيتي اشترى في نفس السنة ١٣ مليون طن من نفط الغرب. وحينما وُجِّه السؤالُ آنئذٍ الى السفير الروماني بشأن سبب عدم شراء الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية نفط ايران، أجاب قائلا: «ثمة مقادير كافية من النفط في الاتحاد السوفيتي و بلدان أوربا الشرقية وليست هناك حاجة الى مزيد من النفط».[٢٦]

حينما طالبت حكومة مصدّق الاتحاد السوفيتي باعادة (١١ مليون) طن من الذهب الايراني المودع في البنوك السوفيتية خلال الاحتلال العسكري لايران، الى جانب ملايين الدولارات من الطلبات الاخرى الى الحكومة الايرانية لم يستجب السوفيت لطلبها. لكن مقادير الذهب والمبالغ المذكورة سلّمت الى (الجنرال زاهدي) رئيس وزراء ايران الذي تزعّم الانقلاب الأميركي، وأعاد الشاه ثانية الى السلطة بعد الاطاحة بحكومة مصدّق (١٩٥٣).[٢٧]

٥ــ إثارة الاضطرابات بوجه الحكومة الوطنية

شهدت الأعوام بين (١٩٥١ــ ١٩٥٣) انتصار التحرّك الجماهيري في ايران، وتمثّل هذا الانتصار بتراجع الشاه أمام الوعي الاسلامي والوطني الذي نهض بأعبائه المخلصون من أبناء هذه الأمة، وعلى رأسهم آية الله الكاشاني، ومهّد هذا الوعي والتحرّك المتصاعد لفسح المجال لمصدّق كي يتسلّم السلطة و يؤمّم النفط[٢٨]، و يضغط على الشاه حتى اضطرّ الى الفرار من ايران. غير أن هذه الفترة كانت قصيرة لعوامل عديدة لامجال لذكرها جميعا، ونكتفي بذكر عامل واحد يرتبط ببحثنا هذا يتمثّل في الاضطرابات التي أثارها حزب تودة في الشارع الايراني خلال تلك الفترة.

خلال العامين والأربعة أشهر من حكومة مصدّق، لم يكد يمضي يوم واحد دون أن يثير الشيوعيون مشاكل وقلاقل في طهران وسائر المدن الايرانية يذهب ضحيتها عشرات القتلى والجرحى فعلى سبيل المثال أعلن حزب توده عن اقامة تظاهرات احتجاجية في ١٤ تموز ١٩٥١ اعتراضا على زيارة (هاريمن) مساعد

وزارة الخارجية الأميركية الى طهران. لم يكن سبب هذه الزيارة واضحا، ولكن **الزيارة وحدها كانت كافية لأن يتذرع بها حزب توده و يعلن عن قيام مظاهرات** احتجاجية، كي يثبت ان الوضع في ايران غير مستقرّ، وليوضح للأميركيين ان الشيوعيين أقوياء في ايران.[٢٩]

طلب مصدق من حزب توده أن يمتنع عن التظاهر في اليوم المذكور، فلم يتلقّ جوابا، وعندما يئس من استجابة توده لطلبه، الحّ على الجيش أن لايتصدّى للمتظاهرين وأن يتحاشى أي صدام معهم لكن الجيش كان مواليا للشاه أكثر من ولائه لحكومة مصدّق، فحرّك بعض الأفراد ليطلقوا النار على المتظاهرين من السطوح، فسقط خمسة منهم مما أثار حفيظة المتظاهرين، ودفعهم الى الرد على الجيش حيث حدثت مجزرة دامية، ذهب ضحيّتها مئات القتلى وآلاف الجرحى.

ومثال آخر من أعمال الشغب التي أثارها حزب توده آنذاك ؛ مظاهرة ٢٨ مارس (آذار) ١٩٥٢، التي قادها (شرميني) مسؤول منظمة الشباب التابعة لحزب توده ضد اللجنة المركزية للحزب نفسه. هذا الاختلاف الداخلي في صفوف حزب توده أدّى الى حدوث مجزرة اخرى في اليوم المذكور.[٣٠]

انتهت هذه المرحلة بسقوط حكومة مصدق في (١٩ أغسطس آب ١٩٥٣) على أثر انقلاب عسكري أميركي[٣١] قاده الجنرال زاهدي، وأصبح تيمور بختيار[٣٢] الحاكم العسكري العام للبلاد، ولم يواجه الانقلاب العسكري مقاومة تذكر لأسباب عديدة منها المشاكل التي خلقها حزب توده في البلاد، والدور الذي لعبه على الساحة أثناء فترة حكومة مصدق.

حكومة الانقلاب عمدت الى شن حملة تصفية واسعة في أوساط المعارضين فحاكمت مصدّقاً ونفته الى قرية أحمدآباد (بين طهران و قزو ين)، وأعدمت الدكتور فاطمي وزير خارجية مصدّق، بعد أن القي القبض عليه في أحد مخابئ حزب توده، ثم انكشف الخط العسكري لحزب توده وأعدم بعض أعضائه. وشدّدت حكومة الانقلاب قبضتها على التيار الديني، فأعدمت نوّاب صفوي مؤسّس حركة (فدائيان اسلام) وجمعاً من أصحابه، واعتقلت آية الله الكاشاني في سجن انفرادي، ثم فرضت عليه الاقامة الاجبارية ومنعت أيّ شخص من لقائه. وفرض الشاه هيمنة قاسية على البلاد، خنق فيها الانفاس. وأعلن مايسمى بالثورة

البيضاء (١٩٦٢) وكاد كل شيء يستتبّ لنظام الشاه وأسياده الأميركيين لولا أن تصدّى له (روح الله) فزّق حاجب السكوت، وحطّم سدود الخوف، وسرت صيحته في قلب الامة، فأيقظتها ودفعتها لنهضة (١٩٦٣) ثم لثورة شاملة حقّقت نصرها المبين عام ١٩٧٨.[٣٣]

المرحلة الثالثة
مرحلة البطالة

وهي المرحلة التي تمتد من عودة الشاه المقبور الى ايران بعد سقوط مصدق (١٩٥٣)، حتى اندلاع الثورة الاسلامية (١٩٧٨). وأسميناها مرحلة البطالة لأن حزب توده لم تكن له (مهمة) في هذه الفترة، اذ أن المساومات الدولية شاءت أن تضع ايران في قبضة أميركا.. ولم يعد حزب توده ــ الذي افتضحت كوادره المدنية والعسكرية ــ قادرا أن يؤدي أية خدمة لأسياده، وكاد وجوده أن ينمحي في الداخل، و بقيت مجموعة في الخارج (في المانيا الشرقية بشكل خاص) تحافظ على بقاء اسم حزب توده، وتصدر نشرة، وتبث برامج اذاعية باللغة الفارسية، تشرح فيها الايديولوجية الماركسية اللينينية وتتهجّم على الامبريالية الأميركية!

ليست لهذه الفترة من حياة الحزب أهمية كي نتطرّق الى تفاصيلها، لذا سنكتفي بتسجيل بعض الملاحظات على حياة ــ بل سبات ــ الحزب في هذه المرحلة.

حزب توده يعترف

ذكرنا ان الحزب الشيوعي الايراني حين أعاد تنظيمه عام ١٩٤١، غيّر اسمه وشعاره ووجوهه. وهذا التغيير كان اعترافا ضمنيّا بالأخطاء والخيانات التي ارتكبها في المرحلة الاولى.

وفي المرحلة الثانية التي بدأت بسقوط رضاخان وانتهت بسقوط مصدّق وعودة الشاه وفرض الهيمنة الأميركية على ايران، ارتكب حزب توده خيانات ماكان بامكانه أن يتملّص منها أو يغمض عينيه أمام تبعاتها.

من هنا راح في هذه المرحلة الثالثة يمارس سياسة (النقد الذاتي)، محاولا في الواقع أن يبرّر أخطاءه وخياناته. ففي **مؤتمره** الرابع الذي عقده عام ١٩٥٧ ذكر أخطاءه خلال فترة حكومة مصدّق وقال:

«.. ان المواقف الخاطئة تجاه تأميم النفط ــ في بداية النهضة ــ والسلوك اليساري **الخاطئ** أزاء الجبهة الوطنية، وحكومة الدكتور مصدّق، من أهم الأخطاء السياسية التي ارتكبها حزبنا خلال الأعوام التي سبقت انقلاب تموز عام ١٩٥٣. فقيادة الحزب ــ بدلا من اسنادها لشعار تأميم النفط والصناعات النفطية، هذا الشعار الذي تضمّن عناصر وحدة جميع القوى المعادية للامبريالية وطرح على أساس مطالبة جماهيرية واسعة النطاق، ــ طرحت شعار إلغاء اتفاقية الجنوب وتأميم المنشآت النفطية الجنوبية، وكان شعار حزبنا بالنسبة لمسألة النفط خاطئا منطقيا وتكتيكيا، ولهذا فان أخطاء جدّية قد برزت في تكتيك حزبنا تجاه الجبهة الوطنية وحكومة **الدكتور** مصدق.

ان حزبنا، بدلا من اسناده للجبهة الوطنية، وحكومة الدكتور مصدق تجاه الهجمات الامبريالية والجناح الأسود للسلطة الحاكمة، وبدلا من دعمه لزعماء البرجوازية الوطنية، هاجم بشدة ولمدة طويلة حكومة **الدكتور مصدق** والجبهة الوطنية حتى ثبت أخيرا خطأ هذه المواقف.

قيادة حزبنا، بدلا من أن تنتقد الجوانب السلبية لخطوات الجبهة الوطنية بطريقة ايجابية، وصفت خطوات **الدكتور** مصدق بشأن مسألة النفط بأنها عملية تنازل نهائي للامبريالية الأميركية، والجهاز الدعائي لحزبنا أكد مراراً على تنبّؤاته الجديدة بشأن هذا التنازل، لكن الواقع أثبت زيف كل هذه التنبّؤات». [٣٤]

يلاحظ ان حزب توده في هذا البيان يؤكّد على ان تصرفاته كانت خاطئة منطقيا وتكتيكيا، أي أنها لا تنسجم مع منطق الماركسية اللينينية وتكتيكها. فهذا المنطق يفرض دعم (البرجوازية الوطنية) التي تتسلّم السلطة كخطوة على طريق اقامة حكومة البروليتاريا!!

هؤلاء بدلا من أن يبحثوا عن الأسباب الحقيقية لأخطائهم وخياناتهم الكامنة في قوالبهم الفكرية وفي تبعيّتهم العمياء للجارة الشمالية، راحوا يبحثون في نفس القوالب الماركسية عن مبرّرات لأخطائهم.[٣٥] وهذا مانجده بشكل أوضح في كراس صدر عام (١٩٥٣) خاص بشأن فترة حكومة مصدق. يقول حزب توده في هذا الكراس: «هذه المرحلة تمتاز بالضعف النسبي لطبقة البروليتاريا، و بعدم اشتراك الفلاحين اشتراكاً فعّالاً في الحركة الثورية المعادية للامبريالية. من هنا فان قيادة النهضة وقعت بيد البرجوازية ذات الميول المهادنة والمتزلزلة والمتردّدة في كفاحها ضد الامبريالية».[٣٦]

مسؤولية سقوط الحركة الوطنية تقع اذن على عاتق البرجوازية التي تسلّمت السلطة في تلك الفترة، ولايتحمّل حزب توده أية مسؤولية في ذلك السقوط! والأغرب من ذلك أن حزب توده يرى سبب السقوط يكمن أيضا في عدم انجراف الجماهير وراءه! «وأسوأ من كل ذلك ان الجماهير ــ بدلا من اعتمادها على طلائع الكفاح المعادي للاستعمار ــ منحت ثقتها لقادة الجبهة الوطنية الفاقدين للتجربة».[٣٧]

هذه التبريرات تحاول ان تغطي على السبب الحقيقي لسكوت حزب توده أمام الانقلاب العسكري الأميركي، ولعدم تحرّك الخط العسكري لهذا الحزب الذي كان متغلغلاً في الجيش بشكل واسع...[٣٨] تحاول أن تغطي على الأوامر التي صدرت من الدولة الشيوعية الأم القاضية بالسكوت، بعد أن اتّفق المستكبرون جميعا (أميركا و بريطانيا و روسيا) على الاطاحة بالحكومة الوطنية التي أوشكت على أن تفلت تماما من ساحة (لعبة الامم). وهذا هو ديدن المستكبرين جميعا حينما يواجهون نظاما لايخضع لمساوماتهم الدولية. وكانت ايران في أوائل الخمسينات تشرف على هذا (الانفلات) من مساومات القوى الكبرى، بعد أن تصاعد فيها المدّ الاسلامي المتمثّل في قيادة آية الله الكاشاني، وفي تحرّك (فدائيان اسلام)، و بعد أن تصاعدت روح المطالبة بالاستقلال في نفوس أبناء الامة في ايران متمثلة بإلغاء الامتيازات الأجنبية و بالمطالبة بتأميم النفط.

انهزام القيادة

كل بناء قائم على أساس غيرالايمان بالمطلق الحق، انّما هو كبيت العنكبوت سرعان ما ينهار أمام العوامل الخارجية المضادة. والأحزاب الأرضية تتبنّى مُثُلاً عُليا محدودة تنطلق من النزعات المادية المحدودة للانسان، وهذه المثل العليا تسقط عادة أمام مايهدّد نزعات مادية أخرى في الانسان، وهكذا انهار حزب توده عقب الانقلاب العسكري (١٩٥٣) أمام (الإرهاب) و (الإغراء).

فالارهاب الذي فرضته حكومة الجنرال زاهدي عقب الانقلاب الأميركي على الفئات المعادية كان منقطع النظير، والإغراءات التي وضعتها هذه الحكومة أمام قيادة حزب توده كانت مثل تلك الاغراءات التي تقدمها وكالة الاستخبارات الأميركية لجذب عملائها.. أضف الى ذلك أن الاستخبارات الأميركية والبريطانية وضعت كل معلوماتها وخبراتها تحت تصرف حكومة الانقلاب، ولاأدري هل فعلت الاستخبارات السوفيتية ذلك أيضا أم لا؟ وانّما أطرح هذا التساؤل لأن انكشاف أجهزة حزب توده كان سريعا للغاية بحيث راح البعض يعتقد ان بريطانيا هي التي كانت تدير هذا الحزب بشكل غير مباشر في ايران، وشاعت آنذاك كلمة (توده نفطي) لتعني ان حزب تودة وسيلة لتحقيق أطماع بريطانيا في نفط ايران. واذا استبعدنا هذا الاعتقاد، يقوىٰ احتمال اشتراك الاتحاد السوفيتي نفسه في كشف جيوب حزب توده آنذاك بعد الا تفاق بين القوى الكبرى على ساحة (لعبة الامم).[٣٩]

المنظمة العسكرية التابعة لحزب توده كانت أول قطاع انكشف من الحزب (ولعل هذه الأولوية كانت مقصودة من الحكم العسكري)، وقيل في وقتها ان الضابط الشيوعي (عباسي) هو الذي كشف كل خيوط ومخابئ ووثائق القطاع العسكري للحزب.[٤٠] و بعيد أن يكون فرد عادي من أعضاء التنظيم العسكري له كل هذا الاطلاع الواسع، خاصة وان حزب توده كان يرى في (عباسي) رجلا ضعيفا بل مشبوها.[٤١]

بعد كشف القطاع العسكري، انكشفت سائر المخابئ والمطبعة، وتم إلقاء

القبض على ثلاثة أعضاء من مجموع خمسة أعضاء يشكلون اللجنة التنفيذية لحزب توده، وهم (الدكتور يزدي والدكتور بهرامي والمهندس علوي)، وفرّ اثنان الى الخارج وهما الدكتور كيانوري والدكتور جودت).

السكرتير العام للحزب آنذاك (الدكتور بهرامي) راح يردّد أمام المحكمة: «إن الشيوعية العالميه غرّرت بي في ألمانيا... وإني كنت مراقباً فقط لتصرّفات حزب توده، ولم أشترك في أية جريمة من جرائم هذا الحزب».[٤٢]

وأحمد سميعي السكرتير الأول لسلك الشباب في حزب توده وجه نداءً الى شباب توده يوصيهم بحل تنظيماتهم وقال: «أتقدم وأنا خجِل للغاية لأطلب من تراب أقدام الشاهنشاه العفوعني، وأتعهد أن أحصل على لقمة عيشي في بقية حياتي من الاشتغال بالطبابة، وسوف لا أضع في فمي وفم عائلتي بعد الآن لقمة التجسّس والخيانة».

تبديد طاقات الأمة الاسلامية

لولم يؤدّ حزب توده خدمة لقوى الاستكبار العالمي سوى هذه الخدمة، (خدمة تبديد طاقات الأمة الاسلامية) لكان جديرا أن يكون موضع اهتمامهم وعنايتهم. هذا الحزب أدّى دوما مهمة (امتصاص النقمة) على الاستعمار الغربي، فحاول أن يجمّع الطاقات الساخطة على الاستعمار والاستبداد والاستغلال، ثم يبدّد هذه الطاقات و يعرّضها للمجازر الدموية... ولقد شاهدنا بعض صور ذلك في مواقفه من حركة الغابة، والحركة الدستورية، والنهضة الاسلامية الوطنية، وهانحن نشهد في هذه الفترة (فترة مابعد انقلاب ١٩٥٣) تعرّض الطاقات الشابة ــ التي استقطبها حزب توده ــ للابادة بعد أن تركتها القيادة واستسلمت، أولاذت بالفرار.[٤٣]

جدير بالذكر ان الخدمة المهمة التي أدّاها الحزب الشيوعي في عملية استقطاب الطاقات تتمثّل أيضا في إبعاد هذه الطاقات عن الخط الاسلامي، وخلق الحواجز الفكرية والنفسية بين الشباب والاسلام. كي يأمن المستكبرون من استفحال التحرّك الاسلامي المعادي لهم.

محاكمة الضابط خسرو روزبه (من أعضاء السلك العسكري لحزب

تـوده)، ودفـاعـه ثم اعـدامـه عـام (١٩٥٨)، نمـوذج جـيـد يـعـبّر عن تبديد طاقات أبناءالأمة وإبعادها عن فهم الاسلام الصحيح.

ولـد هـذا الـرجـل في اسـرة فقيرة فقراً مدقعاً، مارس العمل والدراسة منذ الـطـفـولة، كان يشتغل لتأمين احتياجاته واحتياجات اسرته وهويدرس الابتدائية والـثـانـوية. وظهر نبوغه في السنوات الأخيرة من الدراسة الثانوية وخاصة في حقل الـريـاضـيـات، وفي الـسنة الخامسة من دراسته في الاعدادية كتب رسالة في حقل حلّ المعادلات من الدرجة الرابعة عن طريق التقسيم المتسلسل، وعن طريقها حل المسـائـل الـريـاضـيـة للشيخ البهائي. انتمى بعد تخرّجه في الاعدادية الى الكلية الـعـسـكـريـة، فـكـان أكثر الـطلاب تفوّقا في هذه الكلية، وخلال فترة دراسته في الـكـلـيـة، كـتـب رسالة علمية تحت عنوان (اصول علم أجهزة الاضاءة في المدفعية المـضـادة للـجوّ) وبلغ عدد كتبه ورسائله العلمية ٣٦ كتابا ورسالة. و بعد تخرّجه عُـيِّـن في الأهـواز، ثم نقل الى طهران للتدريس في الكلية العسكرية. وكان حتى بـعـد تخرّجه يعيش حياة الفقراء، اذكان يساعد أهله واخوته و ينفق مابقي من ماله لشراء الكتب العلمية في الرياضيات. كان هذا الشاب يرى نفسه يملك الكفاءات العلمية العالية والنبوغ الفائق، ويرى انه مدرس في الكلية العسكرية ومع ذلك فهو يـعـيـش في شـظـف مـن الـعيش وفي فقر وفاقة، و يرى كذلك الملايين من الفقراء والـبائسين والجياع يكدّون و يكدحون وهم محرومون بينما ثروات البلاد الطائلة بيد بـضـع مـئـات مـن الأفراد.[٤٢] ومن جهة اخرى لم يطّلع خسرو روز به على الاسلام بـاعتباره الاطروحة الشاملة المقاومة لكل ألوان الظلم والاستعباد والاستغلال، من هـنـا فـهـو في دفـاعه أمام المحكمة يرفض تدخّل الدين بالسياسة قائلا: «ان امتزاج الـديـن بـالسياسة يؤدي الى نشوء نظام مثل النظام السعودي!! الذي يطبق القرآن كـامـلاً «على حـدّتعبيره». ومع ان هذا الرجل لم يدرس الاسلام اطلاقا، بل كلّ مـاتـلـقّاه من حزبه حول الاسلام عبارة عن مفاهيم ممسوخة ومشوّهة، فهو يؤكّـد في دفـاعـه أمام المحكمة على اعتقاده ان الاسلام قادر على أن يقف بوجه النموّ الرأسمالي ويـزيـل الـفـواصـل الـطـبـقية السحيقة بين فئات المجتمع، لو التزم به أفراد المجتمع الـتـزامـا صـحـيحا بعيداً عن اللف والدوران والحيل الشرعية. وهذه حقيقة توصّل اليها روزبه بـذكـائـه الفائق مع انه كان بمعزل عن الأجواء الاسلامية، بل كان

يعيش الأجواء المادية المعادية عداءً شديداً للتيّار الاسلامي.[٤٥]

هذا نموذج من الطاقات المهدورة في امّتنا الاسلامية، وأمثاله كثيرون من الذين كانوا يستطيعون أن يقدّموا خدمة فائقة على طريق استعادة وجودالأمة وشخصيّتها وكيانها المسلوب وكرامتها المنتهكة. لكن الحزب الشيوعي امتصّ هذه الطاقات وسخرّها لتحطيم شخصية الامة، ثم عرّضها بعد ذلك للابادة كما قدّمنا.

«توده» يمهد للسيطرة الاميركية

رأينا فيما سبق ان حزب توده أسّس وهو مثقل بتبعات خيانات الحزب الشيوعي، وان حاول أن يتنصّل من تلك الخيانات، ورأينا كذلك ان طبيعة حزب توده اقتضت أن يواصل هذا الحزب خيانات أسلافه، حتى كان من أهم العوامل التي أدت الى سقوط حكومة مصدق.

ولابدّ أن نضيف هنا ان حزب توده لعب دوراً مهماً في الفصل بين القوى الوطنية وعلى رأسها (مصدق)، والقوى الاسلامية وعلى رأسها (الكاشاني)، وهذا الانفصال أدى الى خروج الجماهير المتديّنة من الساحة السياسية، و بالتالي الى الانقلاب العسكري وعودة الشاه[٤٦].

حضور حزب توده بشكل فعال على الساحة السياسية خلال فترة حكومة مصدق أثار مخاوف الجماهير المتديّنة من التسلّط الروسي على ايران، لأن هذه الجماهير كانت تحمل حساسية تجاه الروس لا تقل عن حساسيتها تجاه الأميركيين والبريطانيين. كما ان الممارسات الخيانية التي ارتكبها الشيوعيون في المرحلة الثانية عمّقت نفور الامة من الشيوعية والشيوعيين والكتلة الدولية المساندة لهم. ومن هنا نفهم سبب الانتصار السريع الذي حقّقه انقلاب ٢٨ مرداد (١٩ آب ١٩٥٣)، وسبب عدم ظهور أي ردّ فعل جماهيري ملحوظ على الساحة تجاه ذلك الانقلاب، حتى راح العسكريون المناصرون للشاه يصفون الجو بعد الانقلاب مباشرة بأنه «بحر من الهدوء».[٤٧]

بعد الانقلاب المذكور، استغلّ الشاه أجواء النقمة السائدة على الشيوعية، ليفتح أبواب ايران على مصراعيها للتغلغل الأميركي[٤٨]، وليضرب كل حركة وطنية واسلامية بتهمة الشيوعية.

وخلال الأعوام بين ١٩٥٣ و ١٩٦١ بلغت مشتريات ايران من الأسلحة تحت اشراف أميركا أكثر من ٦٥ مليار ريال ايراني. كما أُنشئت مطارات عسكرية للطائرات الاستراتيجية الأميركية في مدن طهران وتبريز ومشهد وكرمنشاه وهمدان وشيراز وأصفهان وأهواز ودزفول و بندرعباس وأضحت معسكرات الجيش مملوءة بالخبراء العسكريين الأميركيين المتمتّعين بالحصانة الدبلوماسية. وانضمّت ايران الى حلف بغداد (١٩٥٥) الذي تبدّل الى حلف السنتو (١٩٥٨). كل ذلك استطاع أن ينفّذه الشاه بأمر من أسياده باسم مكافحة الشيوعية و باستغلال روح النقمة الجماهيرية على الشيوعيين.[٤٩]

حزب توده يساند سلطة الشاه

الشاه الغارق الى ذقنه في وحل الاستكبار الأميركي عمد سنة ١٩٥٩ــ لأسباب عديدة لامجال لذكرها هنا ــ الى تنفيذ مشروع (الاصلاح الزراعي)، وراحت الدولة الشيوعية (الأم) ومن ورائها أبناؤها تهلّل لهذه الخطوة وتعتبرها عملية تقدمية لنقل ايران من (الاقطاعية) الى (الرأسمالية)، وبقي هذا التأييد لما يسمّى بالثورة البيضاء للشاه حتى قبيل اندلاع الثورة الاسلامية.[٥٠]

هذا التحليل الماركسي لخطوات الشاه (التقدمية) لاينطلق طبعا من القوالب الايديولوجية، قدرانطلاقه من مصالح الاتحاد السوفيتي الذي بدأ يحصل على (حصّته) حسب الوفاق الدولي من خيرات ايران بموجب اتفاقيّات اقتصادية وتجارية وصناعية شملت الترانزيت، واستثماربحرالخزر، وامتناع الجانب الايراني من استخراج نفط الشمال، وانشاء مصنع صهر الحديد في أصفهان، ومدّ انبوبين عظيمين لتصدير الغاز الايراني الى الاتحاد السوفيتي بأقل من ربع القيمة الدولية ... هذا الى جانب الخدمة التي ينبغي للشاه أن يقدّمها لجميع القوى الكبرى بما في ذلك الاتحاد السوفيتي، المتمثّلة بمكافحة الخط (الرجعي) أي الاسلامي، الذي يهدّد مصالح جميع القوى الكبرى وخاصة الدولة الجارة الكبرى التي تسيطر على بقاع اسلامية واسعة.

ثمة خدمة أخرى أسداها حزب توده لنظام الشاه في حقل إدانة عمليات الكفاح المسلح ضد هذا النظام. ولم يكن على حزب توده الذي (يناضل) في المانيا

الشرقية، عسيرا أن يستنبط من القوالب الماركسية مايعينه على إدانة كل حركة مسلحة ضدالشاه. فقد أصدر الكراسات والبحوث الفكرية التي تسخر من حمل السلاح ضد النظام البهلوي، وتصف المجموعات المسلحة بأنها (ماو ية)، وأنها نباتات طفيلية في مزرعة الكفاح الطبقي!![51] هذا الموقف أسفر عن خروج عناصر كثيرة من الحزب لتشكل مجموعات مرتبطة بالصين وألبانيا.

الساواك يقود توده

كان حزب توده يوجه عن طريق إذاعةٍ تبث من المانيا الشرقية تعاليمه الفكرية والتنظيمية، لكي يثبت على الاقل وجود أمواجه الصوتية في إيران. وجهاز أمن الشاه (الساواك) كان يتحرى تأثير هذه الامواج عن طريق افتعال مجموعات تعمل في إيران باسم حزب توده. وكان يستفيد من هذه المجموعات المفتعلة أيضا في جذب من يريد جذبهم من الخارج من أعضاء حزب توده.

فمجموعة (عباس شهرياري)من أهم المجاميع التي شكلها الساواك لتعمل باسم حزب توده، ولتتصل باعضاء حزب توده في الخارج وتجذبهم الى حبائل الساواك .

والساواك استطاع أيضاً أن ينفذ داخل التنظيم الاصلي للحزب في الخارج، حتى استطاع أحدالساواكيين أن يكون الشخص الثاني بعد السكرتير الاول للحزب داخل التنظيم وسيرى القارئ في الاعترافات المزيد عن دورالساواك في حزب توده.

ومن المجموعات التي تأسست خلال هذه الفترة و بالتحديد عام ١٩٧٤ متأثرة بتعاليم توده مجموعة (نو يد) التي كانت ضئيلة وسرية للغاية، وحافظت على سريتها حتى بعدالثورة الاسلامية، ونهضت بالدور البارز في التجسس على الجمهورية الاسلامية لحساب الاتحاد السوفيتي.

المرحلة الرابعة
توده في مواجهة الاسلام والجمهورية الاسلامية

موقف الشيوعية فكريا من الدين واضح، فهي لاتخفي مادّيتها، وتفسيرها لكل الظواهر الاجتماعية ــ بما في ذلك ظاهرة الدين ــ تفسيراً ديالكتيكياً اقتصاديا. غير أن تكتيك الشيوعيين في موقفهم من الدين يتغيّر بتغيّر ظروف مناطق عملهم، و بتغيّر سياسة الدولة الشيوعية الأم.

كان الموقف الروسي من الدين في العهد الستاليني قاسياً دموياً تصفوياً، منطلقاً من مقولة ماركس: «**الدين أفيون الشعوب**»، **واتجهت سياسة** ستالين الى «إنقاذ» الشعوب السوفيتية من هذا «الأفيون» وتبعته في ذلك كل الأحزاب الشيوعية المرتبطة بالكومنترن.[٥٢]

بعد فشل السياسة الستالينية في مواجهة الدين، أو بعد أن استنفدت هذه السياسة أغراضها داخل الاتحاد السوفيتي وخارجه، نهج خلفاء ستالين طريقا آخر في التعامل مع الدين. تجلّى هذا النهج في إعادة ترميم المساجد القديمة، وتشكيل لجنة دينية للمناطق الاسلامية في جنوب روسيا السوفيتية يرأسها «شيخ» عضو في اللجنة المحلية للحزب الشيوعي، والسماح باقامة بعض الطقوس والشعائر الاسلامية بين الشيوخ والعجائز. ثم راحت الزعامة السوفيتية تقيم مؤتمراً سنوياً للأديان!

أما خارج روسيا، فقد كان ردالفعل إزاء السياسة الستالينية المتشدّدة

تجاه الدين أقوى وأوسع، وتمثّل في الحوار الذي جرى بين بعض الأحزاب الشيوعية الأوروبية والكنيسة، وكذلك في مواقف فردية للشيوعيين الأوائل تجاه الدين مثل موقف روجيه غارودي.[٥٣] والظاهرة البولندية سوف لا تكون آخر ظاهرة أوروبية تعبّر عن تراجع الشيوعية أمام الدين.

وأزمة الشيوعية تجاه الدين في الشرق أصعب وأعقد، لأنها تواجه الاسلام، الدين الذي لايقرّ لأتباعه أن يبيتوا على ضيم، ولايسمح لمعتنقيه أن يسكتوا تجاه الظلم والاستعباد والاستكبار، ومع كل مؤامرات المسخ والتشويه والتذويب التي واجهها الاسلام في العصر الحديث على أيدي المستعمرين والطامعين، فان هذا الدين بقي يشكّل أكبر عقبة أمام كل محاولة تسلّطية استعمارية، ولاأدلّ على ذلك من الثورات والتحرّكات الاسلامية التي انفجرت بوجه السيطرة الاستعمارية في مصر والسودان وليبيا والجزائر ومراكش والعراق وايران وبلاد الشام.

الحربة الأساس التي يحملها الشيوعيون في محاربة الدين، هي تحريك الجماهير لرفض كلّ مايُعيقهم عن الثورة على الظلم والاستغلال، بما في ذلك الدين. وشعار الشيوعيين هذا انا وجد له طريقا الى الأفكار والقلوب في إطار العالم المسيحي والممارسات الكنيسية، فانه يفرغ من محتواه تماما في إطار العالم الاسلامي، اللّهم الآفي تلك الأوساط التي نجح المستعمرون في عزلها نفسيا وفكريا عن الاسلام. أما البيئة التي تعيش الاسلام فكراً وروحا وحركة، فلاتجد الشيوعية موضع قدم فيها.

ممّا تقدّم، نفهم بعض الأسباب التي أدّت الى أن يردّد أعضاء حزب توده في اعترافاتهم: بأنهم وصلوا الى طريق مسدود في أرض الثورة الاسلامية، حيث الاسلام ينهض بالدور الأول في تعبئة الطاقات ضدالطغاة والظالمين والمستعمرين.

حزب «توده» والاسلام

اتّخذ حزب توده ــ منذ نشأته ــ موقفاً منافقاً من الدين، ناشئا عن السياسة السوفيتية الجديدة تجاه الدين، ومتناسبا مع الجوّالديني السائد في ايران.

ففي مقال نشره حزب توده عام ١٩٤٤ تحت عنوان «هذا جوابنا»، جاء:

«حزب توده من أنصار الدين الاسلامي الحنيف والشريعة المحمدية الحقّة».[٥٤] وفي نفس العام أيضا نشرت صحيفة حزب توده مقالا تحت عنوان: «رأينا في الدين». جاء فيه: **«أكثر أفراد الحزب مسلمون من عوائل اسلامية، ولهم انشداد خاص بالشريعة المحمّدية، ولايسلكون على الاطلاق طريقا مخالفا للدين، ولايقبلون كلاما يتعارض مع الاسلام».**[٥٥]

لكن هذا التظاهر بالاسلام لم يكن ــ في أنظار الجماهير ــ يختلف عن تظاهر الشاه المقبور بالتمسّك بالدين وأحكام الاسلام، لأن تاريخ هذا الحزب ومواقفه المعادية لعلماء الدين والحركة الاسلامية، لم تكن تخفى على أحد.

ولقد اتّضح بجلاء تخوّف الروس من التحرّك الاسلامي في إيران، حين ساندوا الشاه الأميركي في مواقفه تجاه المعارضة الاسلامية الكبرى عام ١٩٦٣ بقيادة الامام الخميني، ووصفوا اجراءاته القمعية التعسفية ضد الاسلام والمسلمين بأنها تقدّمية معادية للرجعية.

وهذا الموقف اتّخذته أيضا كل الأحزاب الشيوعية في المنطقة بما في ذلك حزب توده، كما أسلفنا.

بلغ هذا الموقف المنافق تجاه الدين ذروته في اطار الثورة الاسلامية، اذ اتّجه حزب توده الى تأييد نظام الجمهورية الاسلامية، وتأييد مواقف الامام الخميني الحاسمة من أميركا ومن الخط الليبرالي الداخلي. وراح يرفع شعارات التأييد لخط الامام الخميني. وأخذ أفراده يلهجون بأنهم تودويون سائرون على خط الامام. وانبرى زعيمه «كيانوري» يدافع في صحيفة «مردم» عن خط الامام، ممّا حدا ببعضهم أن يلقّبه تندّراً بـ **«آية الله كيانوري»!**

تأييد حزب توده و سائر الأحزاب والفئات العلمانية **للجمهورية** الاسلامية، ولقيادة الامام الخميني واضح الأسباب طبعا، فهذه الأحزاب والفئات وجدت نفسها فجأة كريشة في مهبّ رياح الثورة الاسلامية الجماهيرية العارمة. وصرّح بعض قادة هذه الأحزاب حينها ــ وهم ينظرون مبهورين الى العاصفة الجماهيرية الاسلامية ــ «بأنهم يسيرون في مؤخرة صفوف الجماهير، بل لايستطيعون اللّحاق بركب الأحداث السريعة الناتجة عن التحرّك الجماهيري».

لم يكن لحزب توده بدّ من اعلان تأييده **للجمهورية** الاسلامية والدستور

الاسلامي، ومن هنا طفق مفكّرو الدولة الشيوعية الأم يبحثون في أناجيل الماركسية اللينينية عن تبريرات لهذا الموقف الشيوعي من ظاهرة الثورة الاسلامية، فعثروا على نصّ للينين يقول: «**ظهور الاحتجاجات السياسية بلباس ديني سمة مشتركة تميّز جميع الأمم في مرحلة معينة من مراحل تطوّرها**».[٥٦] كما وجدوا في وثائق المؤتمر السادس والعشرين للاحزاب الشيوعية نصّا يقول: «**راية الاسلام يمكن أن تقود الى النضال من أجل التحرّر، وهذا أمر يثبته التأريخ، بما في ذلك التأريخ القريب جدا. ولكن التأريخ بيّن أن الرجعية، هي الأخرى تتلاعب بالشعارات الاسلامية لاثارة التمرّدات المضادة للثورة. وعليه، فان الأمر كله يتوقّف على المحتوى الفعلي لأية حركة**».[٥٧]

أ. فاسيليف، الذي نظّر لحزب توده موقفه الاضطراري من النظام الاسلامي، حاول في الوقت نفسه أن يربط على القلوب المهزوزة للأحزاب الشيوعية في العالم الاسلامي، و يثبّت الأقدام التي بدأت ترتعش على صراط الماركسية اللينينية بعد أن واجهت الثورة الاسلامية العارمة. فراح يفسّر للشيوعيين سبب اتّجاه الجماهير المسلمة نحو اسلامها، ورفضها لكل الحلول المستوردة الشرقية والغربية، فقال:ـــ

«وهناك عبء نفسي معين، لاتحسّ به الجماهير معدومة الثقافة فحسب، بل و تحسّ به العديد من الفئات المثقفة، وهذا العبء، يتمثّل بالعجز عن التوفيق بين نمط الحياة الحديثة والمثل البرجوازية المستعارة من أوروبا الغربية والولايات المتحدة، و بين التقاليد العائلية والاجتماعية، وغالبا ماتستخدم مؤسسات الدولة التي شيدت على غرار النماذج البرجوازية الأوروبية الغربية والأميركية، كقنوات لتغلغل رأس المال الاحتكاري بما يضرمصالح البرجوازية الوطنية. ولهذا السبب فان قطاعالايستهان به من المثقفين، هذا القطاع الذي يؤلّف موضوعيا الناطق باسم مصالح البرجوازية الوطنية، يتّجه الى القيم الاسلامية بحثا عن جواب عن معضلات الساعة، كمايتّجه الى المؤسسات الاسلامية كشكل للنشاط.

أما المثقفون ذوو التفكير الثوري، والفئات الوسطى والعمال في البلدان الاسلامية، فقد اعتنقوا أفكار عصرنا التقدّمية، التي يطبّقونها بما يتلاءم والظروف

الملموسة.»[٥٨]

الاتجاه نحوالاسلام في العالم الاسلامي اذن ناتج ــ في رأي فاسيليف ــ عن عقدة الصراع بين القيم الحضارية الغربية والتقاليد العائلية. أما المتحرّرون من هذه العقدة فيعتنقون أفكار عصرنا «التقدمية»!!

هذا الرأي طبعا تافه الى درجة لايستحق معها المناقشة، ولكنا ذكرناه لنبيّن جانبا من التحليلات التي يقدّمها منظّرو الدولة الشيوعية الأم للشيوعيين في العالم الاسلامي، بشأن الصحوة الاسلامية المعاصرة.

مثل هذه التحليلات طبعا لم تزد حزب توده في إيران إلا دوارا وترنّحا وتحيّرا في كيفية العلاقة التي ينبغي أن يقيمها مع نظام يقوم على قاعدة فكرية، تتناقض كل التناقض مع قاعدته الفكرية، و يستند الى قاعدة جماهيرية واسعة، كان حزب توده يتاجر دوما باسمها، و يعتبر نفسه قيّما عليها. حيرة حزب توده و تخبّطه في علاقاته مع النظام الاسلامي، تبدوان بشكل أوضح من خلال همومه التي كان يبثّها غالبا الى «الرفاق» خارج ايران. كان يبيّن «مشاكل الجمهورية الاسلامية» متمثّلة في التزام الثورة التزاما صارما بالاسلام، ممّا يؤدي الى لفظها لليسار مثل لفظها لليمين، والى الاتّجاه نحو الاستقلال عن الاستكبار العالمي بجناحيه الشرقي والغربي.

من هذه الشكاوى ما نشره «الرفاق» العراقيون، تحت عنوان رسالة وصلتهم من ايران بتأريخ ٨١/٩/١٨، و فيها استعراض للمشاكل التي يواجهها النظام الاسلامي على جميع الأصعدة، ثم يقول صاحب «الرسالة»:

«ولكن لم يتمكنوا ــ أي أعضاء الجهاز الحاكم في الجمهورية الاسلامية ــ من أن يخطوا خطوات جدية مهمة في هذه الميادين. صحيح أن الامبريالية و القوى التي تخدم مخطّطاتها في الداخل، مصمّمة على عدم إعطائهم فرصة، ولكن هذا الأمر طبيعي، و لايمكن توقّع شيء آخر. فمن المفروض أن يتقدّموا الى الأمام، و بامكانهم ذلك إذا ما اعتمدوا سياسة واقعيّة صائبة بفرز الأصدقاء عن الأعداء على الصعيدين الداخلي و الخارجي، لتوجيه النار الى العدوّ الحقيقي بالتحالف مع اليسار الحقيقي في الداخل و مع الدول الاشتراكية و الاتحاد السوفيتي بشكل خاص، و حركة الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية و حركة

التحرّر الوطني[٥٩].

ويواصل هذا (الرفيق) الايراني بثّ شكواه للرفاق العراقيين، من اصرار (رجال الدين) في ايران على الايمان بالله، وبسائر المبادئ الاسلامية!! فيقول:

«أما السياسة الخارجية، فلا تزال مستمرة من حيث الجوهر «لاشرقية و لاغربية»، مع تحسّن كمّيٍ في الفترة الأخيرة، تمثّل بشكل بارز في الموقف من العدوان على أنغولا، و تبادل التمثيل الدبلوماسي مع اليمن الديمقراطية، بمستوى سفير، و حضور اجتماع جبهة الصمود و التصدّي.

ان عدم تمييز الأصدقاء من الأعداء بشكل صائب، لايعود في إيران الى أسباب طبقية وحسب، بل يعود في جزء منه الى أسباب دينية، فان رجال الدين الذين يحكمون البلد يؤمنون فعلا بالله و اليوم الآخر و بظهور المهدي صاحب الزمان و يعادون الإلحاد و الملحدين، ولكن ذلك شيء، و إدارة الدولة شيء آخر، فان السياسة الوطنية الصائبة، و خدمة الجماهير الكادحة تتطلّب نظرة واقعية»[٦٠].

هذه الشكوى ــ على تفاهتها ــ تبيّن بدقة أزمة الشيوعية في ظل النظام الاسلامي. فحزب توده الذي حاول كثيراً أن يتظاهر بدفاعه عن الاسلام، واجه أزمة فكرية و نفسيةو سياسية و اجتماعية خانقة، حين حاول أن يتحرّك في جو يعيش الاسلام بجميع أبعاده الحياتية.

نشاطات حزب توده في هذه المرحلة

١ــ إعادة التنظيم

اتّخذ أعضاء حزب توده القاطنون خارج ايران موقفا متحفّظا من الثورة الاسلامية قبل الانتصار، شأنهم في ذلك شأن الاتحاد السوفيتي. و كان ديدنهم التشكيك في الانتصار، و الاستهانة بهذا التحرّك الجماهيري العارم الأعزل من السلاح، و الذي لايقوده (حزب الكادحين الطليعي)!

أعضاء الحزب الموجودون داخل ايران، ضاقوا ذرعا بسكوت القيادة

الخارجية التي يتزعمها ايرج اسكندري، فهم يرون بأمّ أعينهم قلاع الطاغوت تتهاوىٰ الواحدة بعد الاخرى، و ليس لحزبهم أيُّ موقف من هذه الأحداث الكبرى.

في الأسابيع الأخيرة التي سبقت رحيل الشاه عام ١٩٧٩ قرّرت بعض الكوادر الداخلية إعادة إحياء الحزب و تسميته «تنظيم الداخل» تمييزا له عن القيادة الموجودة في الخارج، و انتخب نور الدين كيانوري[٦١] أمينا عاما لهذا التنظيم[٦٢].

٢ــ الدعوة الى الكفاح المسلح

بعد الأحداث الجماهيرية الضخمة التي توالت في جميع أنحاء إيران، ابّان الثورة الاسلامية، انهار الجيش الشاهنشاهي من الداخل، نتيجة التمرّد و الاضراب و الأعمال الفدائية المساندة للثورة، اضافة الى فرار الأعداد الضخمة من المعكسرات، مما أدّى بالجيش الى اعلان (حياده)، بل استسلامه قبل يومين من انتصار الثورة الاسلامية. و لم يبق من الفئات الموالية للشاه داخل الجيش الاّ فئة ضئيلة غير قادرة على القيام بأي عمل، فبعض أعضائها استسلم كارها، و بعضهم قتل خلال أيام الانتصار بيد أبناء الجيش المساندين للثورة.

هذه الظاهرة حدثت في الجيش الشاهنشاهي بفضل سياسة حكيمة دقيقة، خطّط لها قائد الثورة الامام الخميني، و نفذتها الجماهير بكل دقة، و تقضي باستعطاف الجيش و عدم الاصطدام به اطلاقا.

من جهة أخرى شعرت الفئات اليسارية في إيران أنها تركض لاهثة، لكنها لا تلحق حتى بالصفوف الخلفية من الجماهير الهادرة. و لذلك راحت ترفع شعارات شاذة، كي تبرز على الساحة استناداً الى قاعدة: خالف تُعرف، و منها شعار: الطريق الوحيد للتحرّر.. هو الحرب المسلحة. و ظنت الفئات اليسارية أنها بطرح هذا الشعار، سوف تستهوي الجماهير التي تقدّم المواكب تلو المواكب من الشهداء، جاهلة أن هذه الجماهير تنتظر أوامر الامام باعتبارها أحكاما شرعية مقدّسة، و تعتبر التخلّف عنها مخالفة للّه و لرسوله.

غير أن الفئات اليسارية و سائر الفئات المعادية للثورة الاسلامية،

استفادت من هذا الشعار خلال الساعات الاولى من انتصار الثورة الاسلامية (١٠-١١ شباط ١٩٧٩)، اذ بهذا الشعار هجمت على المعسكرات في طهران و في كردستان، و نهبت ما فيها من أسلحة و ذخيرة. و استخدمتها بعد ذلك في محاربة الدولة الاسلامية. بينما خبّأها حزب توده ليوم المواجهة الموعود[٦٣].

و من الغريب أن كيانوري يدرج الدعوة الى حمل السلاح ضمن (مفاخر) حزب توده و (مواقفه المشرّفة) من الثورة الاسلامية، حين يتحدّث الى رفاقه غير الايرانيين[٦٤] عن الثورة الاسلامية.

٣ــ الاعلان عن تأييد نظام الجمهورية الاسلامية

اقتضت السياسة السوفيتية أن تعلن تأييدها لنظام الجمهورية الاسلامية، و تهلّل لكل خطوة اتّخذها النظام الجديد، لكنس بقايا الوجود الأميركي في ايران، بما في ذلك إزالة قواعد الرصد الأميركية الموجّهة الى روسيا من مناطق شمال إيران، و احتلال وكر التجسّس الأميركي الذي كان يمارس أعماله باسم السفارة الاميركية، و القضاء على الخط الليبرالي الموالي للغرب في إيران. غير أن الاتحاد السوفيتي كان يبحث الى جانب ذلك عن مواضع أقدام له في إيران لملء (الفراغ) الأميركي، و تجلّت هذه المحاولات السوفيتية في قضية (محمد رضا سعادتي)،[٦٥] الذي ألقي عليه القبض و هويهمّ بتسليم وثائق خاصة[٦٦] الى السفارة السوفيتية.

موقف حزب توده من نظام الجمهورية الاسلامية تابع بوضوح للموقف السوفيتي، فقد أعلن تأييده أيضا للثورة الاسلامية و نظام الجمهورية الاسلامية، و اتّخذ في ذلك مواقف ذكية للغاية. و استند في مواقفه هذه ــ كما ذكرنا ــ الى آيات من أناجيل الماركسية اللينينية، ساعده على استخراجها الايديولوجيون الروس.

تجدر الاشارة الى أن الامة المسلمة في ايران استعملت مصطلح (خط الامام)، لفرز الطريق الاسلامي الأصيل الذي يدعو اليه الامام الخميني عن سائر الخطوط المنحرفة و التلفيقية. و حزب توده راح يشيع ــ بشكل موسّع في إعلامه ــ أنه من السائرين على خط الامام وطفق يدافع عن خط الامام، معطيا

في الوقت نفسه معنىً مشوّهاً لهذا الخط يتلخّص في معاداة أميركا. أما حينما يدور الحديث عن (اللاشرقية)، يعتبره انحرافا عن خط الامام و حينما بدأ الامام ينذد صراحة بسياسة الاتحاد السوفيتي، و يؤكّد على أن الانحراف نحواليسارلايقل خطورة عن الانحراف نحو اليمين، قال حزب توده: ان الامام نفسه انحرف عن خطه[٦٧].

٤ــ اعلام «توده»

لئن رفضت الماركسية النسبية الذاتية في فهم الحقيقة، فانها آمنت بالنسبية الموضوعية التي أو قعتها مآلا في أحضان النسبية الذاتية، بعد أن قرّرت أن من المستحيل للفكر الانساني أن يتخلّص من الطابع الطبقي و الحزبي[٦٨].

حزب توده له عراقة في التأكيد على الاعلام من أجل نشر (الحقائق)، التي هي في الواقع، تحويرالحقائق. لتكون متناسبة مع قوالب الفكر الماركسي بطرق ملتوية، و بثرثرة مسهبة تمارس طريقة الايحاء و التلقين اللاشعوري للقارئ.

مرّبنا نشاط توده في هذا المجال خلال فترة حكومة مصدق، و في هذه الفترة عمد حزب توده الى ممارسة نشاط إعلامي واسع شمل الكتابة على الحيطان، و نصب اللافتات، واقامة المعارض، ونشر الشعارات، و طباعة الكتب الماركسية اللينينية بشكل واسع جداً و بيعها بثمن بخس، اضافة إلى نشر المجلات و الصحف و الدوريات.

و من منشورات حزب توده في هذه المرحلة:

*صحيفة «مردم» الناطقة الرسمية باسم الحزب، و تعبّر عن وجهة نظر توده في المسائل اليومية المختلفة. و تطرح الشعارات التي تحاول تلقينها للآخرين.

*صحيفة «اتحاد مردم» و هي و إن لم تكن تعبّر بشكل رسمي عن آراء حزب توده، لكنها كانت واجهة لهذا الحزب يطرح فيها ما لم يرد أن ينسب اليه رسميا، و كان يصدرها محمود اعتماد زاده (به آذين) الذي سيأتي ذكره.

*صحيفة «آذَرَخش» خاصة لطلاب المدارس، و فيها تبسيط للمفاهيم الماركسية اللينينية، اضافة الى عرضها لمواقف توده في المجالات المختلفة، بأسلوب يتناسب مع عواطف الشباب و مشاعر المراهقين.

*مجلة «دهقان» للفلاحين، و هي في الحقيقة معدّة للمستويات الهابطة ثقافيا.

ـ مجلة «زنان» خاصة للنساء، و كان حزب توده يبعث بالفتيات المحجّبات الى المنازل لبيع هذه المجلة لربّات البيوت،و لم يكن يظهر وجوده في هذه المجلة الآمن طرف خفي جدا خشية رد الفعل.

*مجلة «دنيا» و هي مجلة فكرية موسّعة تحمل آخر إفرازات الايديولوجيين الماركسيين، اضافة الى دراسات مختلفة في الشؤون السياسية و الاقتصادية.

*«پرسش و پاسخ» و هي مجلة تضم أسئلة موجّهة الى «كيانوري» و الأجوبة عليها. وهي أهم منشورات حزب توده من حيث تعبيرها الدقيق عن مواقف الحزب بشأن المسائل الحساسة المعاصرة، و كانت الأسئلة و الأجوبة تدور دائما حول المحاور التالية: المسائل الاقتصادية في إيران و خاصة ما يرتبط بالأرض و التجارة الخارجية، و مسألة المرأة، و مسألة الحرب الايرانية العراقية (على حد تعبيرهم)، و مسألة أفغانستان، و مسألة العلاقات مع الكتلة الشرقية، و مسألة تشكيل الجبهة الثورية الديمقراطية..

لو علمنا أن (الحزب الجمهوري الإسلامي) في ايران يعاني من ضائقة مالية شديدة في نشره لصحيفة (جمهوری اسلامی) ـ على سعة انتشارها ـ مما اضطرته الى جمع تبرّعات عامة من أبناء الامة لفهمنا الامكانيات المالية الضخمة التي كان حزب توده يرصدها لاعلامه و منشوراته.

٥ـ جذب قوى اليسار

في مرحلة سابقة لحزب توده، ذكرنا أن اليساريين الايرانيين تخلّوا عنه و شكّلوا مجموعات يسارية صغيرة متعدّدة، انتهجت معظمها الكفاح المسلّح. و في هذه المرحلة حاول حزب توده أن يجذب نحوه المجموعات اليسارية، و نجح في ذلك الى مدى بعيد، و سبب نجاحه يعود الى أنه أدان منذ البداية معارضةَ نظام الجمهورية الاسلامية، بينما المجموعات الاخرى حملت السلاح و أثارت الفتن و المشاكل في منطقة كردستان و جيلان و مازندران و بلوجستان و خوزستان، و ثبت لأكثر المجموعات اليسارية صواب خط حزب توده حين فشلت في مواصلة

إثارة الاضطرابات، و اصطدمت بأمة مسلمة متفانية في سبيل الحفاظ على مكتسباتها الاسلامية.

على رأس النجاحات التي حقّقها توده في هذا المجال، جذب أكثرية مجموعة (فدائيي الشعب)، إذ انقسمت هذه المجموعة اليسارية المحاربة للجمهورية الاسلامية الى فئتين: أكثرية ألقت السلاح، و أعلنت ضرورة مساندتها للنظام، و التحقت بخط حزب توده. و أقلية، واصلت حمل السلاح و بقيت مع مجموعة (كومولـه) اليسارية الكردية تثير القلاقل في كردستان. و ظهر الناطق باسم فدائيي الشعب (الاكثرية)، «مصطفى نگهدار» على شاشة التلفزيون في حوار ايديولوجي، ليعبّر عن نفس مواقف حزب توده التي كان يطرحها في تلك الندوة «احسان طبري». كما نجح حزب توده في ايجاد انشقاق داخل «الحزب الديمقراطي الكردستاني»، فقد خرجت بعد المؤتمر الرابع لهذا الحزب مجموعة كبيرة بقيادة «غني بلوريان»، رافضة نهج «الدكتور قاسملو» في الكفاح المسلّح ضد الجمهورية الاسلامية، و أعلنت أنها تنتهج الكفاح السياسي لتحقيق مطاليب الأكراد. و التحقت عمليا أيضا بحزب توده. و كان «عموئي» عضو اللجنة المركزية لحزب توده ذا دور فعّال في هذا الانشقاق.

بقي أن نعيد القول أن نجاح حزب توده في هذا المجال يعود بالدرجة الاولى الى فشل المجموعات المسلحة في مواجهة النظام الاسلامي، بل الأمة المسلمة المساندة لهذا النظام. و هذه المجموعات التي «تراكمت» لانتهاج سبيل الكفاح السياسي ضد الجمهورية الاسلامية، هي الأخرى و اجهت طريقا مسدودا، فانهارت أمام صمود الأمة على طريق إسلامها و بقيادة إمامها. و ما أجل تعبير القرآن عن هذه المجموعات «المتراكمة» «الصادة» عن سبيل الله: **«إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدّوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يُغلَبون. و الذين كفروا الى جهنم يحشرون. ليميز الله الخبيث من الطيب و يجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون»**[٦٩].

٦ــ افتعال الواجهات

لم يكن يسيراً على حزب توده أن يتحرّك في بداية الثورة على الساحة، و هو محمّل بأوزار الماضي، فراح يتحرّك وراء الواجهات، فأسس في بداية الثورة الاسلامية ما يسمى بالجمعية الايرانية لأنصار السلام. ولكن توالي أحداث الثورة بسرعة، جعل وجود مثل هذه الجمعية أمراً تافها لامعنى له، فانحلت الجمعية، و بقيت واجهة اخرى من واجهات حزب توده، تعمل بنشاط في جمع الكتّاب و المترجمين و الصحفيين تحت لوائها و هي «كانون نو يسندگان ايران» أي مركز الكتّاب الايرانيين، باشراف محمود اعتمادزاده، الملقب بـ(بهٔ آذين)، الذي كان عضواً سابقاً في حزب توده ثم ترك الحزب، ثم عاد اليه في بداية انتصار الثورة الاسلامية.

وثمة واجهات صغيرة أخرى كان يعمل خلفها حزب توده، تحمل اسم الأقليات الدينية أحيانا، و اسم التجمّعات الديمقراطية أحياناً أخرى، و لانودُّ ذكر اسمها بسبب عدم اكتمال مراحل التحقيق، و عدم صدور رأي رسمي بهذا الشأن. جدير بالذكر أن واجهة الكتّاب الايرانيين، تحرّكت على الصعيدين الداخلي و الخارجي كثيرا للدفاع عن رئيسها بعد اعتقاله، زاعمة أنه كاتب مفكّر لاغير، و رفعت في ذلك مذكّرة الى رئيس الجمهورية الاسلامية الايرانية، طالبت فيها باطلاق سراح (به آذين) الذي يشكّل اعتقاله (على حدّزعمها) تهديداً لحرية الفكر و للحريات الديمقراطية، ثم خرج (به آذين) بنفسه على شاشة التلفزيون يعترف باشتراكه في كل خيانات حزب توده، و يعتبر نفسه مذنبا يستحقّ أقسى العقوبات.

٧ــ التظاهر بالاخلاص والوطنية

سعىٰ حزب توده كثيرا لأن يظهر على الساحة بأنه حزب مخلص لنظام الجمهورية الاسلامية. و من منطلق (الاخلاص) كان يطرح حلوله للمشاكل السياسية و الاقتصادية، ومن خلال هذه الحلول كان حزب توده يحاول أن يظهر

نفسه بأنه وحده ــ لاغيره ــ قادر على حل المشاكل القائمة. طروحات حزب توده واقتراحاته لحل المشاكل القائمة نجدها في جميع أعداد «پرسش و پاسخ»، كما نجدها في المقالات التي كان ينبعثها الى (الرفاق) العراقيين، ليظهر نفسه على صعيد الأحزاب الشيوعية العالمية بأنه لايزال قادرا أن يقول كلمته على الساحة الايرانية[٧٠].

حزب توده ــ الذي يحمل تبعة ثقيلة من ماضية المليء بالخيانات الوطنية ــ حاول في هذه المرحلة كثيرا أن يظهر نفسه وطنيا حريصا على مصالح ايران و الايرانيين، و أن ميوله للاتحاد السوفيتي لا تنطلق من تبعيّته للجارة الشمالية، بل من حرصه على مصالح إيران التي لاتهدّدها سوى الامبريالية الأميركية!

كما حاول كثيرا أيضا أن يضفي على أفكاره طابع الوطنية، محاولا أن يلفّق بين المادية الديالكتيكية و التراث الايراني الاسلامي!! و هي محاولة تحتاج الى كثير من التجنّي و الافتراء على التراث لايجيدهما الا المتفنّنون في مسخ الحقائق و تشويه الأفكار[٧١].

إحسان طبري، كان رائد هذا التلفيق، فهو من جهة مفكّر ماركسي عريق يعدّ على رأس المفكّرين الماركسيّين الشرقيين، و من جهة أخرى يتمتّع بنصيب وافر من الاطّلاع على الأدب الفارسي و على العرفان و الفلسفة و التصوّف و التأريخ في الشرق. و كان في جلسات الحوار التي دارت بين الاسلاميين و الماركسيين على شاشة التلفزيون يركّز على هذا الجانب، و يستشهد بكثير من نصوص الأدب الفارسي التي تذهب ــ في زعمه ــ مذهب المادية التأريخية، و تنتهج المنطق الديالكتيكي.

٨ــ النفوذ في مراكز الدولة

لم يكن عسيرا على أعضاء حزب توده أن ينفذوا في المؤسسات الرسمية للجمهورية الاسلامية. لأن الثورة الاسلامية ثورة جماهيرية غير قائمة على أكتاف تنظيم له معرفة مسبقة بالأفراد و الاتّجاهات و الميول و التجمّعات. ومن البديهي أن تنشط المجموعات السياسية في ظل مثل هذه الثورة للسيطرة على مراكز الدولة أو

للتغلغل فيها على الأقل لكي تستطيع أن تحرّك الدفة في الاتّجاه الذي تريده. و إنْ لم تستطع المجموعات السياسية أن تسيطر على أي جهاز من أجهزة الدولة الاسلامية بفضل قيادة الامام الخميني، و التفاف الامة حول القائد[٧٢]، فانها استطاعت أن تنفذ في بعض المراكز الرسمية و غير الرسمية[٧٣]. و حزب توده كان مؤهلا أكثر من غيره لهذا النفوذ، بفضل توجيهات الدولة الشيوعية الأم، و بفضل قدرة أعضاء الحزب على التظاهر بمناصرة خط الامام، و بتأييد الجمهورية الاسلامية.

قبل سقوط حزب توده، كانت أصابع الحزب واضحة في المشاكل التي تُثار بين حين و آخر، في الجمعيات الاسلامية الموجودة في بعض المعامل و المصانع.

٩ــ محاولة شق صفوف المسلمين

دأب حزب توده على أن يقسّم الاتّجاه الاسلامي في ايران الى تيّارين: يميني و يساري. وراح يضع بعض المسؤولين، و اعضاء مجلس الشورى الاسلامي، و أعضاء مجلس صيانة الدستور، و علماء الدين في جبهة اليسار، بينما وضع بعضهم الآخر في جبهة اليمين، ووصفهم بأنهم منحرفون عن خط الامام!

من الواضح أن تطبيق الاسلام في المجالات الحياتية المختلفة و خاصة في المجال الاقتصادي و بالأخص في حقل التجارة و توزيع الأراضي الزراعية، يؤدي الى ظهور آراء و اجتهادات مختلفة في حقل التطبيق، و هذه الآراء تُطرح في مجلس الشورى الاسلامي و في مجالس التدريس العلمية، و هذه ظاهرة طبيعية سليمة تؤدّي الى اثراء الفكر، و تدلّ على فتح باب الاجتهاد في الاسلام. غير أن حزب توده حاول أن يستغل هذه الاختلافات في الاجتهاد، لتصنيف الاسلاميين الى يمين و يسار، لاثارة الخلافات بين المسؤولين، و لشقّ الاتّجاه الاسلامي الموحّد و خلق الحساسيات تجاه بعض علماء الدين.

١٠ــ محاولة جرّ الثورة الاسلامية الى اليسار

مرّ بنا سابقا ان حزب توده دعا الى اقامة جبهة تضمّ ما أسماه المسلمين الثوريين وكل الفئات الثورية الديمقراطية!! زاعما ان الاسلام لايفصل بين

الثوريين المعادين للامبريالية الأميركية! أي إن الاسلام لايمكن أن يشكّل المحتوى الفكري و الحركي للمجموعة البشرية، بل ان المحتوى يتكيّف وفق المكانة الطبقيّة و الموقف الطبقي للأفراد، و من هنا يمكن أن يلتقي حزب توده مع المسلمين الثوريين اليساريين على حدّ زعمهم.

كما دعا حزب توده ــ انطلاقا من المفهوم السابق ــ الى اقامة جبهة موحّدة مع الأنظمة اليسارية في العالم و خاصة الاتحاد السوفيتي و هذه الدعوة دفعته الى الدفاع عن السياسة السوفيتية بحماس، خاصة في حقل غزو أفغانستان، و الى التأكيد على أن الاتحاد السوفيتي صديق حميم للشعوب الثورية الكادحة، بما في ذلك الشعب الايراني.

حزب توده واجه في محاولته هذه فشلا يفوق فشله في نشاطاته الاخرى، اذ اصطدم منذ اللحظة الاولى بشعار الجماهير المسلمة (لاشرقية و لاغربية)و (الموت لأميركا ــ الموت للاتحاد السوفيتي). و هذه الشعارات عبّرت في الواقع عن محتوى حضاري عميق في الأفكار و النفوس، كما تحوّلت الى خطّ عملي، مَن انحرف عنه خرج من صفوف الجماهير و انعزل عنها.

احتراق الأوراق

الأحزاب الشيوعية في العالم عامة، و في العالم الاسلامي خاصة، تجد لها موضع قدم من خلال طرح شعارات خاصة معروفة، لاحاجة الى ذكرها. و يهمّنا هنا استعراض احتراق الأوراق التي كانت بيد حزب توده الشيوعي و افلاسه في جميع شعاراته:

١ــ ورقة الفكر الثوري

طالما تظاهر الشيوعيون بأنهم يملكون فكرا ثوريا قادرا على تعبئة الطاقات و دفعها على طريق الحركة و الكفاح، و طالما اتّهموا الفكر الاسلامي بأنه مخدّر و عامل على السكون، وشلّ الطاقات، غير أن الثورة الاسلامية أثبتت عكس هذا

تماما، اذ على أساس الاسلام وحده لاغير، انطلقت أعظم ثورة شعبية في تاريخنا المعاصر، شملت جميع فئات الشعب، و توغّلت في أقصى نقاط البلاد، و دفعت الأمة لأن تواجه أعتى طاغوت معاصر، و لأن تواصل هذه المسيرة على الرغم من تقديم آلاف الشهداء، ولأن تدكّ عرش الطاووس و تحرق أكبر قاعدة أميركية في الشرق الأوسط. و لازال الاسلام هو العامل الوحيد لبقاء الجماهير في ساحة الثورة، و لصمودها أمام أنواع التحدّيات العسكرية و الاقتصادية و السياسية.

من الطبيعي أن حزب توده الشيوعي لم يعد قادراً في إيران أن يلوّح بفكره الثوري و أن يعتبره الفكر الوحيد القادر على تحريك الجماهير، كما تفعل الأحزاب الشيوعية في بقاع عالمنا الاسلامي. و بذلك أفلس في هذا المجال تماما.

٢ــ ورقة محاربة أميركا

ظهور أميركا في العقود الأخيرة، كوحش عسكري و اقتصادي يزهق أرواح الملايين دون حساب، و يبتلع ثروات الشعوب دون رحمة، زاد استياء الشعوب من الاستكبار الأميركي أكثر، وروّج في الوقت نفسه بضاعة الشيوعيين بين الشعوب الناقة على أميركا.

كان بمقدور حزب توده أن يلعب بورقة معاداة أميركا بشكل جيد في إيران، حيث كانت أميركا جاثمة على صدر الأمة في هذا البلد ما يقارب ثلاثين عاما، لكن الاسلام ظهر في الثورة الاسلامية، باعتباره العدوّ اللدود للاستكبار الأميركي ولكل المستكبرين. شعارُ الموت لأميركا أصبح في ايران ورداً يتلوه أبناء الأمة في أدعيتهم و أذكارهم و صلواتهم، و أضحى الشعار الأول في الجمهورية الاسلامية، كما اتّخذت أميركا في إيران اسم الشيطان الأكبر، و بات العلَم الأميركي يُحرق و يُداس بالأقدام في كل مناسبة. العداء لأميركا في الجمهورية الاسلامية لم يتلخّص في إطار الشعارات، بل تعدّى الشعار الى العمل، فأضحت الجمهورية الاسلامية قاعدة لمعاداة المصالح الأميركية في جميع المنطقة، و محلاً لتمريغ أنف أميركا في التراب، و لاحاجة لتعداد ما اتّخذته الجمهورية الاسلامية من إجراءات صارمة للوقوف بوجه تحدّيات الاستكبار الأميركي، بل نكتفي بالقول إن الاسلام ظهر مع اندلاع الثورة الاسلامية، باعتباره العدو الأكبر

للاستعمار الأميركي على صعيد الشعار والعمل، و بذلك خسرت الشيوعية هذه الورقة في إيران على الأقل.

٣ــ ورقة مناصرة الكادحين

شعار نصرة الكادحين و المحرومين هو الآخر، استهوى المنجرفين نحو الشيوعية في عالمنا الاسلامي عند ابعاد الاسلام عن ساحة الحياة لكن الشيوعيين أفلسوا في طرح هذا الشعار أيضا في ظل الثورة الاسلامية التي اتجهت اول ما اتّجهت الى تقليم أظافر المستثمرين و المستغلّين، و المبتزّين و المرابين، و جميع مصّاصي دماء الشعب، و كل أصحاب الثروات المحرّمة كما خطّت الثورة بجد ــ على الرغم من كل ما وضع أمامها من عقبات ــ على طريق الأخذ بيد المحرومين و الضعفاء، و تحسين أوضاع معيشتهم، و رفع ما لحقهم من حَيف و ظلم في عهد الطاغوت. و لم تكن مواقف الثورة الاسلامية هذه (مصلحية) تستهدف جذب الطبقة الفقيرة اليها، بل كانت (مبدئية) تنطلق من المفاهيم الاقتصادية الاسلامية في حقل المكاسب المحرّمة، و العدالة الاجتماعية و التكافل الاجتماعي..

دستور الجمهورية الاسلامية أقرّ في بنوده كل السبل اللازمة للوقوف بوجه استغلال الانسان لأخيه الانسان، و الاثراء غير المشروع، و وضع السبل الكفيلة لتوفير حياة كريمة لجميع أفراد الشعب.

الامام الخميني أكّد في أكثر خطبهِ على دور المستضعفين في الثورة الاسلامية، و على ضرورة الاسراع في تحسين أوضاع الفئة المحرومة اقتصاديّا في المجتمع.

كل هذه الأجواء المعادية لأصحاب الثروات المحرّمة، و المناصرة للمحرومين و المستضعفين في الجمهورية الاسلامية، أفقدت شعارات الشيوعيين في هذا المجال تأثيرها، فقد وجدت الأمة في الاسلام خير نصير لها ازاء كل ما لحق بها من ظلم.

٤ ــ ورقة الدفاع عن الإتحاد السوفيتي

حزب توده لم يكف، منذ تأسيسه، عن الدفاع عن الاتحاد السوفيتي، و لايستطيع بطبيعته أن يكف عن ذلك، محاولا أن يظهر هذه الدولة بأنها خير نصير للشعب الايراني في كفاحة ضد أميركا. و أنها ليست لها أطماع توسّعية، بل تعادي كل تدخّل في شؤون الشعوب الاخرى، و أن أيَّ شعب لايمكن أن يتخلّص من نير الاستعمار الغربي ما لم يكن مسنودا من كتلة الدول (التقدّمية) في العالم، و على رأسها الاتحاد السوفيتي.. و أمثالها من الاطراءات التي تتكرّر في جميع مقالات توده و شعاراته.

لقد أفلس جانب مهم من هذه الشعارات في بداية الثورة الاسلامية، حين حقّقت هذه الثورة، بفضل الله و مَنّهِ، انتصارها المُبين على أكبر قاعدة أميركية في المنطقة، دون الاعتماد على أية قوة خارجية. و ازداد إفلاس هذه الشعارات حين غزا الاتحاد السوفيتي أفغانستان، لمواجهة المعارضة الاسلامية في هذا البلد المسلم. بل و أفلست هذه الشعارات تماما، حينما اتّفقت مصالح الاستكبار العالمي شرقيّهِ و غربيّهِ، على ضرب الثورة الاسلامية و تحجيمها و الوقوف بوجه امتدادها.

أصبح شعار «الموت للاتحاد السوفيتي» مقرونا دوما بشعار «الموت لأميركا» على لسان الجماهير المسلمة، كما أصبحت كلمة الاستكبار العالمي في حديث الشارع الايراني تعني كل القوى الكبرى، الرامية الى فرض سيطرتها المقيتة على الشعوب. و مُني حزب توده على هذا الصعيد بنكسة كبرىٰ.

٥ ــ ورقة الدفاع عن الجمهورية الاسلامية

بدأت شعارات توده ــ المؤيدة للجمهورية الاسلامية ــ تتراجع بعد ندوات تلفزيونية، عُقِدت مرة باشتراك كيانوري عن توده، و الشهيد بهشتي عن الجانب الاسلامي. و مرة أخرى باشتراك إحسان طبري عن توده، و الدكتور سروش و الاستاذ مصباح يزدي عن الجانب الاسلامي. و في هذه الندوات أفحم

حزب توده سياسيا و ايديولوجيا في مسألة تأييده للنظام الاسلامي، ثم مُني بتراجع كبير حين خاب أمله تماما في تشكيل جبهة (تقدّمية)، تضم الشيوعيين و المسلمين!! وازداد تراجعه حينما سيطرت الأمة المسلمة على جميع الأوضاع في البلاد، بما في ذلك الجمعيات الاسلامية في الدوائر و المصانع و القرىٰ، هذه الجمعيات التي كان حزب توده يعقد عليها الآمال، و يراها أفضل طريق للنفوذ. و أمام كل تراجعاته في نشاطاته، و إفلاسه في شعاراته، أدرك أنه يقترب من مرحلة النهاية. فقرّر أن ينتقل الى مرحلة سرية، من أجل بلورة أفراده و خطّهِ، وصيانة وجوده من الذوبان و الانهيار.

في هذه المرحلة السرية، التي لم تدم طويلا، بدأ حزب توده يصدر تعاليمه الى أتباعه، بالتغلغل في أجهزة الدولة بحيطة و حذر شديدين، كما بدأ ينتقد بشدة برامج الجمهورية الاسلامية و مواقفها السياسية و الاقتصادية، و أنشأ خطّاً عسكريا للحصول على المعلومات العسكرية و نقلها الى الاتحاد السوفيتي. و استمرّ في تخبّطه هذا حتّى واجه نهايته المحتومة.

الانهيار التام

- اعترافات به آذين.
- اعترافات كيانوري.
- اعترافات محمد علي عموئي.
- اعترافات خمسة من أعضاء اللجنة المركزية.
- اعترافات الطاولة المستديرة.

الحلقة الاولى ــ حول تاريخ الحزب.

الحلقة الثانية ــ التجسس.

الحلقة الثالثة ــ حزب توده والثورة الاسلامية.

كثيرة هي الانهيارات التي مُنيتْ بها الاحزاب الشيوعية في العالم، و كثيرة هي الاعترافات التي صَدَرتْ عن كوادر هذه الاحزاب بعد الانهيارات، لكن انهيار حزب توده و اعترافات أعضائه في ظل الدولة الاسلامية لها ميزات قد آنفردَت بها.

هذا الانهيار لم يأت ــ أولا ــ نتيجة مساومات دولية، أي لم يأت نتيجة اتفاق بين موسكو و واشنطن في إطار لعبة الامم، كما لم يحدث نتيجة وفاق بين الجمهورية الاسلامية و الكتلة الغربية، ولايحتاج ذلك الى دليل. فكل من يفهم طبيعة الثورة الاسلامية في تعاملها مع الكتلتين الشرقية و الغربية، ويعرف المواقف المتبادلة بين الجمهورية الاسلامية و الكتلة الغربية يدرك هذا بوضوح.

و من الطريف أن أذكرهنا أنّ أجهزة إعلام الغرب و الشرق كلها اتخذت موقفا معاديا و سلبيا من هذه الاعترافات، و حتى وكالات الانباء الغربية و الصهيونية حاولت أن تستهين بأنباء اعترافات حزب توده، و تقلل من أهميتها، و تشوّه حقيقتها فقالت مرة: إن هذه الاعترافات جاءت على أثر التعذيب الجسدي ثم استدركت و قالت بل حدثت على أثر المحاربة النفسية داخل السجن، لان التعذيب الجسدي ــ والقول لوكالات الانباء الغربية ــ يزيد عادة من صمود الشيوعيين و اصرارهم. و راحت مرة أخرى تفتعل القصص الخيالية لتوحي أنّ انكشاف تنظيم حزب توده و افتضاح مخططاته جاء نتيجة لجوء جاسوس بريطاني يعمل في السفارة الروسية بطهران

الى الغرب.

وهذه هي المرة الاولى التي تتخذ فيها وسائل إعلام الغرب مثل هذا الموقف السلبي من انهيار حزب شيوعي في العالم، إذ كان دَأب الاعلام الغربي أنْ يطبّل ويزمّر لصالح الانظمة التي تنهار الاحزاب الشيوعية في ظلها. ولكن هذا الاعلام وقف هذه المرة الى جانب الاعلام الشرقي في موقفه السلبي من الجمهورية الاسلامية تجاه هذه الظاهرة، ولكن بصيغة مختلفة طبعا.

والسبب واضح وهو أن انهيار حزب توده ــ كما ذكرنا ــ كان حدثا، مثل سائر أحداث الدولة الاسلامية المباركة، خارجاً عن إطار الوفاق الدولي بين المستكبرين.

وهذا الانهيار ــ ثانياً ــ لم يسفر عن اقتراب الجمهورية الاسلامية من الغرب، كما يحدث عادة بعد انهيار الاحزاب الشيوعية في بلدان العالم.

لقد كتبت صحف العالم ومجلاته كثيراً في بداية انهيار حزب توده عن نتائج هذه الظاهرة، وأجمعت تقريبا ــ انطلاقا من مرتكزاتها الذهنية ــ على أنّ ذلك سيؤدي الى اقتراب إيران من الكتلة الغربية. غير أن كل هذه التخمينات تحولت الى سراب حينما أعلنت الجمهورية الاسلامية بحزم عن استمرار موقفها المتصلب من الغرب عامة، ومن أميركا بشكل خاص وأن اميركا لا تزال هي الشيطان الاكبر، وأن شعار «الموت لاميركا» سيبقى منطلقا من أرض ايران مازال الصراع قائماً بين الاسلام والاستكبار العالمي[٧٤].

كان حزب توده يحس بشدة قبل الانهيار التام بأنه يعيش أزمة فكرية داخل الجمهورية الاسلامية، حتى بلغت هذه الازمة حد «الانهيار الفكري». ولكن هذا الحزب بقي محتفظا بمعنوياته، لانه كان يشعر بارتباطه بقوة كبرى من جهة، وبعدم ارتباط الجمهورية الاسلامية بأية قوة كبرى، و بأية استخبارات عالمية من جهة أخرى. وهو لذلك كان واثقا من بقاء

تنظيمه ومخططاته بمعزل عن أضواء النظام الاسلامي، ومن قدرته يوما على تسلُّم السلطة وكسر طوق غربته الفكرية.

عمليات القاء القبض السريعة المتقنة على اعضاء اللجنة المركزية للحزب أدت الى «الانهيار النفسي» بين الكوادر المتقدمة وقد أدّى هذا بدوره الى «الانهيار التنظيمي».

وهنا لابدَّ من الاشارة الى أن ظاهرة الانهيار الفكري لحزب توده تعتبر الاولى من نوعها في العالم، لأن الارتداد عن الشيوعية كان غالبا ما يأتي نتيجة وقوع الشيوعيين في إغراءات الحضارة الغربية فيصابون بالتحلل الفكري والاسترخاء المعنوي والبطر النفسي فينسون التزاماتهم ويبدأون بصب اللعنات على القوالب الفكرية الماركسية والثناء على الحريات الديمقراطية!!

لكن الانهيار الفكري لحزب توده حدث هذه المرة أمام فكر اسلامي ثوري يخاطب فطرة الجماهير، ويتبنّى مشاكلها وآلامها وآمالها، ويدفعها للسير حثيثا على طريق التكامل المعنوي نحو خالقها، ويعطيها تصوراً حركيا تكامليا عن الكون والحياة والانسان. وأمام هذا الفكر الحركي الجماهيري الفطري تراجع الفكر الشيوعي وأصبحت بضاعته كاسدة، اللهم إلاّ بينَ عدد من المثقفين المتعالين على الجماهير والمنفصلين عنها. ومثل هذ التبني للشيوعية يتعارض مع الشيوعية نفسها.

كما إن ظاهرة الانهيار النفسي كانت فريدة من نوعها أيضا، لأن الحزب كان واثقا من أنه يعيش في حصانة تنظيمية حديدية، وأن النظام الاسلامي لايملك جهاز الامن والاستخبارات القادرَينِ على كشف هذا التنظيم الحديدي. فالجمهورية الاسلامية حديثة العهد، ومشاكلها كثيرة، وخبرتها في كشف التنظيمات ضعيفة. ولذلك أذهلت عملية الاعتقالات الخاطفة الدقيقة[٧٥] كوادر حزب توده وأفقدتهم صوابهم وراحوا يفرغون بسرعة ما في جعبتهم من معلومات.

ثم إن الانهيار التنظيمي كان فريداً من نوعه أيضا إذ كشف أعضاء الحزب عن كل ارتباطاتهم دونما تردد أولف أودوران، وفضحوا بسرعة كل عناصر نفوذهم داخل أجهزة الحكومة والجيش، وأهم من كل ذلك أنهم كشفوا عن ارتباطاتهم بوكالة الاستخبارات السوفيتية «كي ــ جي ــ بي» وبيّنوا نوع المعلومات والتقارير التي كانوا يبعثونها الى الاتحاد السوفيتي، و أعلنوا لكل الاعضاء عن انحلال الحزب وانتهاء تنظيم توده في إيران الى الأبد.

هذه الظواهر الجديدة نستطلعها من خلال إلقاء الضوء على ما نشر في اعترافات أعضاء حزب توده.

«به آذين» يعترف

محمود إعتمادزاده «به‌آذين» رئيس الجمعية الايرانية لانصار السلام. والامين العام لمجلس الكتّاب والفنانين الايرانيين وصاحب صحيفة «اتحاد مردم» الاسبوعية. انتمى الى الحزب الشيوعي (توده) عام ١٩٤٢ وكان لدى اعتقاله عضواً في اللجنة المركزية للحزب، وجدير بالذكر أنّ الجمعية والمجلس المذكورين واجهتان لحزب توده تحركتا بعد اعتقال (به‌آذين) لمطالبة النظام الاسلامي بإطلاق سراحه باسم حرية الرأي والقلم!!

خرج على شاشة التلفزيون. وأدلى باعترافات مهمة[٧٦] دارت حول الانهيار الفكري لحزب توده وخياناته، والمهم في هذه الاعترافات هو تأكيد «به آذين» على انهيار الماركسية في إيران أمام الفكر الاسلامي النظري والعملي. فهذا الرجل يحتل مكانة مهمة في الحزب على الصعيد الأدبي والتنظيري، ويعتبر من الأدمغة المفكرة في الفكرالماركسي والأدب اليساري.

إفلاس الماركسية:

قال محمود إعتمادزاده في اعترافاته:

«قبل كل شيء لابد من القول: إن الماركسية في إيران وصلت الى

طريق مسدود، بعد انتصار الثورة الاسلامية و استتباب سيادة الاسلام المطلقة و ليس للماركسية أي مجال للحياة السياسية في إيران.

و سبب وصول الماركسية الى طريق مسدود في إيران يعود بالدرجة الاولى إلى وجود الاسلام، الاسلام الثوري الذي جعل الماركسية تشعر بالافلاس أمام نظرية منسجمة و متبناة من قبل الجماهير المليونية في إيران.

هذا الاسلام أبرز نفوذه و رسوخه في وجدان الجماهير المليونية الايرانية و خاصة المستضعفين بصور مختلفة. إحدى هذه الصور هيمنة الثقافة الاسلامية. و لابد من التأكيد على أن مستضعفي إيران، مدنييهم وقرو ييهم لهم ارتباط وثيق بعلماء الدين المسلمين و هذا الارتباط الثقافي العريق الذي يمتد لقرون متطاولة يحمِّل الجماهير نوعاً من المسؤولية التي تبعدهم عن تبني كل فكرة غير إسلامية.

و المسألة الاخرى: هي أنّ انتصار الثورة الاسلامية في إيران، و استتباب حاكمية الاسلام التامة في إيران، قد تمّا باشتراك الجماهير الشعبية المليونية، وخاصة المستضعفين و بقيادة الامام الخميني طبعا. و بفضل توجيهات علماء الدين الملتزمين التي استطاعت أن تدفع حركة الجماهير المعارضة باتجاه إسلامي.

هذه الحاكمية الاسلامية، التي جاءت عقب انتصار الثورة في إيران، قد وفّرت كل الوسائل المادية و المعنوية اللازمة لحل مشاكل المستضعفين في إيران، و إنقاذهم من الحرمان و الظلم و الاستثمار... من هنا فالماركسية في هذا المجال لم تعد تملك ما تعمله للجماهير المستضعفة.

الماركسية تستطيع أن ترفع الشعارات ولكن أين الشعار من العمل؟ فالعمل ــ من أجل المستضعفين ــ هو ما نهضت به الدولة الثورية الاسلامية، و قد فعلت حتى الآن الكثير».

واستمر «به آذين» يتحدث عن انهيار الماركسية أمام خط الاستقلال السياسي فقال:

«المسألة الاخرى، مسألة شعار: لاشرقية ولاغربية. هذا الشعار يستهدف أولا تأمين استقلال البلاد، و يروم ثانياً رفض كل طريق و حضارة، و نظام حكم و تركيب مجتمع، على الطراز الشرقي أو الغربي.

هذه المعتقدات راسخة في أذهان و وجدان الجماهير المستضعفة الايرانية

التي حققت بدمها انتصار الثورة و استمراريتها. و الماركسية في هذه الحالة لا تستطيع أن تشق طريقها في أذهان هؤلاء و نفوسهم».

وراح «به آذين» يتحدث عن انهيار الماركسية في إيران أمام العقيدة الإلهية التي تسمو بالانسان و تنتشله من حضيض المادة فقال:

«ثمة مسألة أخرى هى ان الماركسية لاتهتم بالانسان و بجانبه الروحي بالشكل اللازم، بل ينبغى أن نقول إنها لاتهتم بذلك إطلاقا من منظار معين، هو منظار الجانب الإلهي في الانسان و من هذه الجهة أيضا لا تَجد الماركسية لها مكانا بين جماهير الشعب».

خيانات اليسار

في هذه المقابلة راح هذا المفكر الماركسي و الحزبي، والصحفي، و الاديب اليساري العريق يتحدث عن خيانات حزب توده و اليسار عامة في:

***الحركة الدستورية ، و كيف أن اليساريين من أمثال «حيدر عمو أوغلي» استطاعوا أن يخلعوا سلاح الثوار الدستوريين القادمين من تبريز بقيادة ستارخان و باقرخان.**

***و في إحباط حركة الغابة المعادية للاستعمار في شمال إيران.**

***و في تأييد اليسار بقيادة سليمان اسكندري لحكومة الدكتاتور رضاشاه مما ساعد على استتباب الحكم لهذا الطاغية.**

***وفي خيانته للسيادة الوطنية في حادثة إقامة جمهورية آذربايجان الايرانية.**

***و في إصراره على منح السوفيت امتياز نفط الشمال أيام حكومة الدكتور مصدق.**

***و في تأييده لما يسمّىٰ بإصلاحات الشاه.**

***و في عمالته التامة للاتحاد السوفيتي.**

و قد ذكرنا من قبل بالتفصيل هذه الخيانات و لاحاجة الى إعادة

ذكرها على لسان «به‌آذين».

ثم تحدث الرجل عن خيانات حزب توده بعد انتصار الثورة الاسلامية بشكل موجز، قائلا:

«إن السكرتير العام للحزب «كيانوري» أعرق مني بهذه الخيانات، وسيشرحها هو بنفسه بالتفصيل». **ثم قال:**

«في الظروف الحالية لحزب توده حيث الخيانات التي ارتكبها، و نقضه المتكرر لقانون الجمهورية الاسلامية الايرانية و تجسّسه لصالح الاتحاد السوفيتي، و تدبيره مؤامرة الاطاحة بالحكم، لم يبق أي مجال لحسن الظن به... و هو الآن كجثة متعفنة يجب دفنها بسرعة كي لا تسري عفونتها الى أذهان البسطاء من الشباب... و أعترف اني ارتكبت خطأ فاحشاً وذنباً كبيراً بحق نفسي، و بحق الجماهير المستضعفة الايرانية التي حققت بدمها و تضحياتها النصر للثورة الاسلامية الايرانية و لازالت تضحي للمحافظة عليها... و أنا مستحق للعقاب».

اعترافات «كيانوري»

نور الدين كيانوري مر ذكره آنفا. انتمى الى حزب توده سنة ١٩٤٢... اعتقل عام ١٩٤٦، و كان انذاك عضوا في اللجنة المركزية للحزب، ...ثم فرَّمن السجن، و غادر ايران الى أوروبا و أقام في الاتحاد السوفيتي و المانيا الشرقية. ...اختلف مع اللجنة المركزية المقيمة خارج إيران مرات. و انتُخب في أوائل اندلاع الثورة الاسلامية سكرتيراً أولا للجنة المركزية للحزب الشيوعي الايراني «توده».

خيانات الحزب للجمهورية الاسلامية

ركز كيانوري حديثه في هذه المقابلة[٧٧] على الخيانات التي ارتكبها حزب توده بعد انتصار الثورة الاسلامية و نقضه الصريح لقانون الجمهورية

الاسلامية، مع تظاهره باحترام الدستور و قوانين الجمهورية.

نختصر ماجاء في اعترافات كيانوري بشأن هذه الخيانات فيما يلي:

١ــ التجسس لصالح الاتحاد السوفيتي: فقد كان الحزب يعد تقارير عن الوضع السياسي و العسكري للجمهورية الاسلامية في إيران و يسلمها بين آونة و أخرى الى السوفيت.

٢ــ الاحتفاظ بالسلاح: فحزب توده حصل فيمن حصل على السلاح من المعسكرات بعد انهيارها نتيجة انتصار الثورة الاسلامية، ولكنه لم يسلمها ــ كما فعلت الجماهير ــ بل احتفظ بها و أخفاها.

٣ــ تأسيس تنظيم سري: و هذا التنظيم قوّاه حزب توده خاصة بعد أن أعلن المدعي العام في الجمهورية الاسلامية حظر أي نشاط حزبي سري في البلاد، و هذا التنظيم السري نشط خاصة في حقل جمع المعلومات، و هكذا انساق الحزب الى الجاسوسية.

٤ــ السعي للتغلغل في أجهزة الدولة بقناع التظاهر و النفاق و التملق.

٥ــ محاولة إيجاد تنظيم سري عسكري داخل القوات المسلحة لجمع المعلومات العسكرية.

٦ــ الخروج غير القانوني من الحدود خاصة في الفترة الاخيرة من عمر الحزب.

ثم قال كيانوري:

«أعتقد أنّ جرائمنا ثقيلة فهي تدخل في إطار الجاسوسية و الخيانة، و نقض القانون و هي ثقيلة الى درجة نستحق معها أشد العقاب، و الجمهورية الاسلامية محقة في أن تنزل بحقنا العقاب الذي ترتئيه. و نحن مسؤولون عن كل هذه الجرائم»[٧٨].

خمسة من أعضاء اللجنة المركزية يعترفون

في دفعة واحدة خرج خمسة من أعضاء اللجنة المركزية لحزب توده على شاشة التلفزيون ليعترفوا بخياناتهم وخيانات حزبهم[٧٩]».

الاول: غلام حسن قائم پناه:

قال: «تخرجت في الكلية العسكرية عام١٩٣٧ وحين كنت في الكلية انتميت الى حزب توده، وفي عام(١٩٥٠) هربت من الجيش الى الاتحاد السوفيتي. فأقمت فيه وفي بلدان إشتراكية أخرى. ومنذ دخولي الاتحاد السوفيتي تعهدت بالتعاون مع وكالة الاستخبارات السوفيتية ــ كي ــ جي ــ بي ــ و استمر هذا التعاون بأشكال مختلفة. وكنت حين اعتقالي عضواً في اللجنة المركزية لحزب توده وعضو لجنة التفتيش والمتابعة ومحرراً في صحيفة (مردم)».

سأله مقدّم البرنامج عن عمالة حزب توده للاتحاد السوفيتي وتبعيته السياسية والتنظيمية للدولة الشيوعية الام فقال:

«إن حزب توده أسس في العشرينات على يد أفراد تخرجوا في الجامعات الشيوعية في الكتلة الشرقية من أمثال: بقراطي، وأوانسيان، وروستا، وكانت الفردية الستالينية الحاكمة آنذاك تستهدف إنشاء أحزاب في الدول الآسيوية مرتبطة بالسياسة السوفيتية، لجمع المعلومات لصالح الاتحاد السوفيتي».

مواقف السوفيت المصلحية:

واصل «قائم پناه» حديثه عن السياسة المصلحية للاتحاد السوفيتي و الكتلة الشرقية مؤكداً ابتعاد هذه السياسة عن المبدئية، وموضحاً أن حزب توده أيضا كان دوماً يدور في فلك هذه السياسة، ويرضخ لارادة السوفيت و ذكر لذلك أمثلة وقال:

«إقتضت سياسة الاتحاد السوفيتي أن يساند الحزب الديمقراطي الآذربايجاني، و الحزب الديمقراطي الكردستاني في الاربعينات؛ و بهذه المساندة أسس الحزبان جمهوريتين غرب إيران مدعومتين من قبل الجيش الاحمر ثم اقتضت سياسة السوفيت أن يسحبوا تأييدهم لهاتين الجمهوريتين فانسحب الجيش الاحمر و تعرضت هاتان المنطقتان و الحزبان الى مجزرة دموية على يد الشاه.

تغيير السياسة هذا جاء عقب زيارة قوام السلطنة للأتحاد السوفيتي حيث وعد السوفيت بمنحهم امتياز نفط الشمال و على أثر ذلك سحب الاتحاد السوفيتي حمايته للديمقراطيين الآذربايجانيين و الاكراد. و أكثر من هذا أوعز الى حزب توده أن يدخل في حوارمع حكومة قوام المعادية للجماهير. و انتهى الامر بدخول ثلاثة أعضاء من حزب توده في وزارة قوام السلطنة.

والمسألة الأخرى هي مسألة تأميم النفط خلال الاعوام ١٩٥١-١٩٥٣ م. في هذه المسألة وقف حزب توده موقف المثبط للحركة الوطنية الرامية الى إلغاء الامتيازات الاجنبية، و مع أن الحزب كان لديه كوادر كثيرة في الجيش لكنه لم يتحرك في الانقلاب العسكري الذي أطاح بالحركة الوطنية، كل ذلك لأن الحزب خاضع تماما لسياسة الاتحاد السوفيتي. و لايتخذ أية خطوة دونما صدور أوامر من السوفيت.

بعد الانقلاب الاميركي الذي أعاد الشاه الى الحكم فرّ أكثر أعضاء قيادة الحزب و الكوادر الاخرى الى الاتحاد السوفيتي و شاهدت بأم عيني مدى تبعية و خضوع الحزب للسياسة السوفيتية أثناء إقامتنا في الاتحاد السوفيتي و المنظومة الاشتراكية.

كان السوفيت يتدخلون في كل قرارات الحزب، بل كانوا يتدخلون ايضا في فصل بعض الافراد من الحزب.

في أوائل الستينات تحسنت علاقات نظام الشاه الخائن مع الاتحاد السوفيتي على الصعيد الاقتصادي و التجاري. و من أجل تعميق هذه العلاقات و توطيدها، حظرت الحكومة السوفيتية تقريبا كل نشاطات مؤسسات حزب توده، و أغلقت واجهاته، في الاتحاد السوفيتي، و أسست بدلا من تلك (جمعية المهاجرين السياسيين).

و قبل انتصار الثورة الاسلامية بعامين أو ثلاثة أعوام كان لدى حزب توده محطة إذاعية في بلغاريا باسم «پيك ايران»[٨٠]، و بعد أن تحسنت علاقات الشاه المقبور ببلغاريا أخذوا من حزب توده هذه المحطة أيضا. و مع كل هذه المضايقات و المفارقات فان توده كان يصر على تقديم كل فروض الطاعة و الولاء للاتحاد السوفيتي و الدول الاشتراكية. اذ لم تكن مواقف الحزب تدور حول محور مصلحة الشعب الايراني، بل حول محور مصالح الاجانب».

المواقف المصلحية التي يتحدث عنها هذا القيادي الشيوعي الايراني، ليست بغريبة على من له أدنى اطلاع على مواقف الاتحاد السوفيتي من الاحزاب الشيوعية في العالم عامة، فهذه الاحزاب تشكل دوما ورقة رابحة بيد السوفيت يساومون بها عند جلوسهم على طاولة المحادثات مع الحكومات الاخرى.

أضف الى ذلك أن الايديولوجية الشيوعية في اعماقها ــ لافي شعاراتها ــ لا تفهم القيم الخلقية، و الالتزامات الرسالية، بل هي مصلحية مادية، و من هنا فإن سياسة الشرق لها نقاط التقاء كثيرة، و محاولات تفاهم عديدة مع سياسة الغرب، و طالما التقت هاتان السياستان لمواجهة عدو مشترك واحد كما حدث من قبل تجاه صين ماوتسي تونغ و كما يحدث اليوم تجاه المدّ الاسلامي الهادر في العالم الاسلامي.

الاتحاد السوفيتي سجل أخيراً من الحرب الايرانية ــ العراقية أفظع موقف مصلحي في تاريخ السياسة السوفيتية الخارجية. فنظام الحكم في

العراق المدعوم من قبل فرنسا و أميركا و بريطانيا و المُسنَد من قبل عملاء الغرب و أميركا في المنطقة من أمثال حسين و حسن/وقابوس وفهد و مبارك ، قد أصبح موضع تأييد علني صريح من قبل الاتحاد السوفيتي في حربه ضد الجمهورية الاسلامية.

لقد كان الاتحاد السوفيتي يرسل أثناء الحرب الاسلحة و المعدات الى نظام صدام بحجة المعاهدة العسكرية السوفيتية العراقية، أما في إعلامه و بياناته فكان يتخذ موقف المحايد على الظاهر، لكنه بعد تصفية عملائه و افتضاح خططه، ويأسه من الحصول على التفاحة المتهرئة التي وعدها لينين اتخذ موقفاً واضحا مسانداً للعراق في حربه العدوانية الغادرة ضد الجمهورية الاسلامية.

خيانة الحزب للثورة الاسلامية:

ثم تحدث «قائم پناه» عن موقف حزب توده من الثورة الاسلامية و أكد أن الحزب كان يدين الثورة الاسلامية قبل انتصارها و يرفض تأييد حركة علماء الدين. ولكن جناح كيانوري كان وحده يصر على ضرورة التظاهر بتأييد الثورة و علماء الدين كي لايتخلف أكثر عن الجماهير، و حينما أشرفت الثورة على الانتصار، عقد الحزب في الخارج مؤتمره السادس عشر و انتخب كيانوري سكرتيراً أولا للجنة المركزية للحزب.

و واصل حديثه عن خيانات الحزب بعد انتصار الثورة الاسلامية و خاصة في حقل التجسس لصالح الاتحاد السوفيتي فقال:

«بسبب مسؤوليتي في لجنة المتابعة و التفتيش كنت أتردد باستمرار على التنظيمات الحزبية في المدن، و كنت أرى في جميع الاجتماعات الحزبية ظاهرة اصرار المسؤولين على جمع المعلومات و كتابة التقارير عن الاوضاع و التغلغل داخل المؤسسات الثورية لكسب الاخبار. وكانت كل هذه المعلومات تبوب، و ترسل الى اللجنة المركزية للحزب، بل الى السكرتير الاول بالذات، و كان هذا يأخذ المعلومات المبوبة و يوصلها الى السوفيت عن طريق سفارة الاتحاد السوفيتي أو

سفارة أفغانستان في طهران، أو عن طريق شركة تجارية لنقل البضائع من الاتحاد السوفيتي»

و أشار «قائم پناه» أيضا الى مواقف حزب توده من الاحتلال السوفيتي لافغانستان و من الحرب المفروضة على الجمهورية الاسلامية و قال:

«إن الحزب ــ على لسان سكرتيره الاول ــ كان يؤيد موقف الاتحاد السوفيتي بشكل علني من القضيتين، فكان يدافع عن دخول الروس في أفغانستان، و يبرر إرسال الاسلحة السوفيتية الى العراق متحدياً بذلك سياسة الجمهورية الاسلامية و عواطف أبناء الشعب الايراني المسلم».

الثاني: رفعت محمد زاده

قال: «أنا عضو اللجنة المركزية، و عضو المكتب السياسي للجنة المركزية لحزب توده وكانت مسؤولياتي هي: مسؤول قسم التعليم و مسؤول قسم التحقيق.

هاجرت الى الاتحاد السوفيتي عام ١٩٥١ و في ذلك العام أصبحت عضواً في وكالة الاستخبارات السوفيتية و بقيت فيها عضوا حتى زمن اعتقالي».

الثالث احمد علي رصدي

قال: «أنا عضو اللجنة المركزية لحزب توده ومسؤول شعبة التفتيش و المتابعة لمدن ايران. وعضو شعبة التفتيش و المتابعة التابعة للجنة المركزية للحزب.

هاجرت الى الاتحاد السوفيتي عام ١٩٤١م، و بعدها ببضع سنوات بدأت بالتعاون مع الاستخبارات السوفيتية.. بعد اندلاع الثورة الاسلامية جئت الى إيران حيث اشتركت مع اثنين آخرين من أعضاء الحزب في تأسيس شركة تجارية تمارس في الواقع مهمة التجس لصالح السوفيت.

و بعد انتصار الثورة الاسلامية سافرت ثلاث مرات الى الخارج بما في ذلك الاتحاد السوفيتي و هناك التقيت مرتين برجال الاستخبارات السوفيتية ــ كي ــ جي ــ بي ــ وكنت في الواقع أعمل لصالح هذه المخابرات اثنين و ثلاثين عاما».

الرابع: كاكيك أوانسيان

قال: «أنا عضو اللجنة المركزية ومسؤول الجهاز الاداري بعد الثورة كنت عضو ارتباط بين الحزب والمسؤولين السوفيت وكنت أسلم المعلومات المجموعة عن طريق الحزب الى المسؤولين السوفيت».

الخامس: كيومرث زرشناس

قال: «دخلت الحزب سنة ١٩٦١ حين كنت في اوروبا الغربية وأصبحت مسؤول تنظيم الشباب في أوروبا الغربية، ثم عضواً للجنة المركزية، ثم مسؤول تنظيم الشباب في الحزب كله. وكنت لمدة ثماني سنوات أعمل لصالح شبكات التجسس التابعة للكتلة الشرقية».

سأله مقدم البرنامج عن المواقف المنافقة المرائية لحزب توده، فاستعرض «زرشناس» تاريخ المواقف المنافقة للحزب من الحركات الوطنية والتحررية والدينية ثم عرج على الحديث عن هذه المواقف تجاه الجمهورية الاسلامية وخاصة فيما يتعلق بأفغانستان والحرب البعثية العراقيه المفروضة على الجمهورية الاسلامية ومسألة كردستان إيران ومسألة المنافقين. مبينا أن كل هذه المواقف كانت مؤطرة بطابع من النفاق والتذبذب والدجل والازدواجية ولم يأت «زرشناس» بشيء جديد يذكر، وانما اعاد ماقاله رفاقه.

اعترافات محمد علي عموئي

مرذكره من قبل، ويبدو انه لم يتورط في التجسس المباشر بسبب وجوده في السجن مدة تزيد على أربعة وعشرين عاما. بعد خروجه من السجن كان أكثر أعضاء اللجنة المركزية تحمساً لاتخاذ مواقف منسجمة مع سياسة الجمهورية الاسلامية الداخلية والخارجية، وبعد اعترافات أعضاء اللجنة المركزية وسكرتيرها الاول بالتجسس والعمالة أصبح الآن أكثر المتحمسين لدفن حزب توده ولفضح جرائمه، وهو الذي أدار طاولة مستديرة في ثلاث حلقات، اجتمع حولها أعضاء اللجنة المركزية للتحدث عن خيانات الحزب كماسنرى.

قال[٨١] «انخرطت في حزب توده عام ١٩٤٦ حين كنت طالبا في الاعدادية، وعند قبولي في الكلية العسكرية انقطعت علاقتي بالحزب، ثم عدت الى الانتماء بعد التخرج واصبحت سنة ١٩٤٩ عضوا في التنظيم العسكري للحزب وارتقيت الى درجة مسؤول منطقة في التنظيم، وفي سنة ١٩٥٤ اعتقلت مع سائر أعضاء التنظيم العسكري وبقيت في المعتقل ٢٤ عاما وعدة أشهر، أي حتى عام ١٩٧٨ حين استطاعت عاصفة الثورة الهادرة أن تطلق سراح جميع المعتقلين السياسيين. لقد تمتعت بأولى ثمار الجهود الثورية لشعبنا.

بعد عودة النشاط العلني للحزب، انتميت اليه. كنت قبل ذلك قد انتخبت غيابياً عضواً في اللجنة المركزية، ثم أصبحت عضوا في الهيئة السياسية

للحزب، وفي المؤتمر الاخير للحزب انتخبت عضواً في هيئة أمنائه.»

عموئي أشار في حديثه الى ما قاله رفاقه، ثم بوب اعترافاتهم، وأدان بشدة وعصبية جرائم الحزب ــ ماضيها وحاضرها ــ وأبدى نفوره الشديد من عمليات التجسس التي ارتكبها الحزب، ثم أعلن انحلال الحزب، ووجه كلمة الى أنصار الحزب جاء فيها:

اعلان حلّ حزب توده

«لقد اختار الحزب طريقاً غير قانوني، و بلغ المرحلة التي ينبغي أن يبلغها. إنه أصدر حظره على نفسه بنفسه. ما أوضحه المشاركون في هذه المقابلة لايدع مجالا للشك في ضرورة حل هذا الحزب بشكل دائم . وزارة الداخلية هي المسؤولة طبعاً عن إصدار قرار قانوني بهذا الشأن،لكني باعتباري احد مسؤولي الحزب يحق لي أن أعلن بصراحة حل هذا الحزب، أعلن أنه لايوجد بعد اليوم حزب باسم «حزب توده».

حل هذا الحزب نتيجة طبيعية ومنطقية تماما لمجموع ماارتكبه من أعمال خلال حياته السياسية».

نداء الى أنصار الحزب

ثم وجه عموئي نداءً الى انصار الحزب هو في الحقيقة نداء الى كل المخدوعين بالشعارات اليسارية في العالم، قال فيه: «أوجه ندائي الى الشباب، خاصة أولئك الذين اندفعوا من أجل بناء أمتهم ووطنهم فسلكواطريقاً ترون اليوم نهايته بوضوح، طريقا ليس فيه لسالكيه سوى الفضيحة والاسف والعار.

لقد اندفعتم الى الانخراط في الحزب ــ أيها الاخوة ــ متأثرين بشعارات الحزب البراقة. وها أنتم تسمعون اليوم الحقائق من لسان قادة هذا الحزب وترون الفارق الكبير بينها و بين ماسمعتم وما قرأتم في نشرات الحزب وأدبياته.

أنعموا النظر مرة أخرى فيما سمعتم من اعترافات ليتبين لكم الوجه الحقيقي لهذا الحزب الذي انتميتم اليه.

حزبكم ليس حزب الجماهير المحرومة الكادحة، حزبكم ليس حزباً أصلاً، إنه ألعوبة بيد الاتحاد السوفيتي.

لوكنتم تكنون في أعماقكم حباً لشعبكم، لوكنتم تحترمون شخصيتكم واستقلالكم الذاتي فعودوا الى أنفسكم قبل أن تصبحوا ألعوبة لا ارادة لها إ فتحوا أعينكم، فهذا البلد يشهد حقائق هزّت العالم. في هذا البلد ملايين المواطنين يحملون أعباء مسؤولية كبرى و يضحون من أجلها. أزيلوا الغشاوة عن أعينكم لتروا أي طريق عظيم بطولي يسلكه بلدكم، وأي مستنقع عفن آسن انحدر اليه حزبكم!!

ماسمعتموه في هذه المقابلة على لسان المسؤولين الحزبيين جديد عليكم، ولعله أثار دهشتكم، إنها الحقيقة.. حقيقة الوجه الذي يحمله هذا الحزب.

.. لقد آن أوان اتخاذ القرار،.. عليكم أن تفهموا الحقيقة على مرارتها. وأنتم أيها الشباب تملكون شجاعة قبول الحقيقة. لتكن لديكم الجرأة على الخروج من الشرنقة التي فرضها الحزب عليكم ليفصلكم عن الجماهير الثائرة. أنقذوا أنفسكم من التعصب الحزبي، عند ذاك ستفهمون طريق الحياة الحرة والفكر الحر.

إنكم تسمعون هذا الكلام من حزبي قضى عمره في معرفة الحزب. إنكم تعرفونني ولا أريد أن تتورطوا فيماتورطت فيه وأناعليه اليوم نادم.

أنا واثق أن إعلان حل الحزب سيكون الخطوة الاولى للتخلص من الشرنقة التي أُحطتم بها. وتبقى القيود الذهنية المفروضة عليكم، وإزالة هذه القيود ليس بالصعب أيضا . ما عليكم إلاّ أن تنعموا النظر في اعترافات هذه المقابلة، وتعرفوا شخصيات المعترفين، عند ذاك لايبقى للتلقينات الحزبية أي تأثير على أذهانكم».

اعترافات الطاولة المستديرة

الحلقة الاولى ــ حول تاريخ الحزب

إشترك ثمانية عشر من أعضاء القيادة المركزية لحزب توده في حوار مفتوح حول طاولة مستديرة، وأدار هذه الطاولة محمد علي عموئي (مرّ ذكره) وتم تنظيم الحوار في ثلاث حلقات نلقي الضوء هنا على اعترافات الحلقة الاولى.[٨٢]

المشاركون يعرّفون أنفسهم

١ ــ محمد علي عموئي ــ مرّ ذكره

٢ ــ غلام حسن قائم پناه ــ مرّ ذكره

٣ ــ نور الدين كيانوري ــ مرّ ذكره

٤ ــ أحمد علي رصدي ــ مرّ ذكره

٥ ــ كاكيك أوانسيان ــ مرّ ذكره

٦ ــ منوجهر بهزادي، قال:

«سنة ١٩٤٥ إنتميت الى حزب توده، ذهبت الى خارج البلاد عام ١٩٥٤ و بعد انتصار الثورة الاسلامية الكبرى عدت إلى إيران. آخر مسؤولياتي

كانت عضوية الهيئة السياسية وعضوية هيئة الأمناء، ومسؤول قسم المنشورات في الحزب».

٧ ــ مهدي كيهان، قال:

«أنا عضو اللجنة المركزية لحزب توده، والمشرف على القسم العمالي المركزي إنتميت الى الحزب عام ١٩٤٤، وأصبحت عام ١٩٧٦ عضوا في اللجنة المركزية للحزب، أنا من الضباط الذين شاركوا في حركة خراسان وأحداث آذربايجان. لجأت الى الاتحاد السوفيتي عام ١٩٤٦ وخلال إقامتي هناك تعاونت مع الاستخبارات السوفيتية، بعد انتصار الثورة الاسلامية عدت الى ايران»

٨ ــ آصف رزم ديده:

«عضو اللجنة المركزية، انتميت الى الحزب عام ١٩٦١، اعتقلت عام ١٩٦٧، خرجت من السجن خلال أحداث الثورة الاسلامية الكبرى و مارست عملي في القسم المركزي من القطاع العمالي للحزب».

٩ ــ عباس حجري:

«إنتميت الى الحزب عام ١٩٤٥، أُعتقلت عام ١٩٥٤ مع من اعتقل من أعضاء التنظيم العسكري، و بقيت في السجن حتى أيام الثورة الاسلامية. أنتخبت في المؤتمر السادس عشر عضواً في اللجنة المركزية. و بعد عودة الحزب الى النشاط العلني أصبحت عضواً في الهيئة السياسية وهيئة الامناء و مسؤول فرع طهران».

١٠ ــ علي گل آويز:

«بدأت حياتي السياسية عام ١٩٤٥. في سنة ١٩٤١ ذهبت الى الاتحاد السوفيتي و بقيت ٣٣ عاما أتنقل بين الاتحاد السوفيتي و بلغاريا وألمانيا الشرقية. في سنة ١٩٦٠ انتميت رسميا الى حزب توده وفي عام ١٩٧٨ انتخبت عضوا في اللجنة المركزية. و بعد انتصار الثورة الاسلامية الكبرى عدت الى وطني. آخر مسؤولياتي كانت مسؤول فرع كردستان».

١١ ــ حسين جودت:

«ولدت سنة ١٩٠٨، أستاذ متقاعد لكلية الهندسة في جامعة طهران. قبل

٤١ عاما إنتميت الى حزب توده عام (١٩٤٨). أنتخبت عضواً في اللجنة المركزية ثم عضواً في اللجنة التنفيذية وفي نفس هذا العام أعتقلت و بقيت في السجن عامين... هربت مع أعضاء اللجنة المركزية المعتقلين من السجن، مارست بعدها العمل السري خمس سنوات في طهران، ثم ذهبت الى الاتحاد السوفيتي حيث بقيت خمسة أعوام، بعد ذلك سافرت الى ألمانيا الديمقراطية مدة تسعة عشر عاما... عدت الى إيران بعد انتصار الثورة الاسلامية في عام ١٩٧٨ أنيطت بي مهمة الشؤون العمالية للحزب بسبب سوابقي في الاتحادات العمالية ثم قدمت استقالتي من هذه المهمة بسبب مرضي، و بقيت أشترك في اجتماعات الهيئة السياسية للحزب».

١٢ ــ رضا شلتوكي:

«عضو الهيئة السياسية، وعضو هيئة الامناء، ومسؤول شؤون المدن انتميت الى التنظيم العسكري للحزب، ثم اعتقلت و بقيت في السجن حتى اندلاع الثورة الكبرى حيث افرج عني».

١٣ ــ فرج الله ميزاني المعروف ب «جوان شير»

إنتميت الى الحزب عام ١٩٤٦، وكانت لي منذ ذلك الوقت مسؤوليات مختلفة. عام ١٩٥٧ ذهبت الى خارج البلاد، وعدت بعد انتصار الثورة. منذ عشرين عاما انتخبت عضواً مشاوراً في اللجنة المركزية للحزب وقبيل انتصار الثورة أصبحت سكرتيرا للجنة المركزية للحزب و بعد انتصار الثورة كنت المسؤول العام عن الجهاز التنظيمي لحزب توده».

١٤ ــ انوشيروان إبراهيمي :

«عضو الهيئة السياسية وسكرتير اللجنة المركزية لحزب توده و مسؤول فرقة الديمقراطيين الآذربايجانيين ومسؤول تنظيم الحزب في آذربايجان. انتميت الى الحزب في سنين مبكرة من حياتي، وفي سنة ١٩٤٦ انتميت الى فرقة الديمقراطيين الآذربايجانيين. بعد فاجعة سقوط حركة آذربايجان هربت مع عدد كبير من المواطنين الى الاتحاد السوفيتي، ثم تعاونت في آذربايجان السوفيتية مع الاستخبارات السوفيتية. وفي سنة ١٩٧٤ ذهبت الى ألمانيا الشرقية بقرار من

اللجنة المركزية للحزب و بعد انتصار الثورة عدت الى ايران وانيطت بي مسؤولية فرقة الديمقراطيين الآذربايجانيين».

١٥ ــ محمد مهدي پرتوي المعروف ب «خسرو».

«منذ سنة ١٩٧٤ كنت من مؤسسي تنظيم «نويد» التابع لحزب توده و بعد انتصار الثورة الاسلامية توليت مسؤولية التنظيم السري للحزب. في المؤتمر السادس عشر انتخبت غيابيا لعضوية اللجنة المركزية ثم انتخبت أيضا لعضوية الهيئة السياسية ومستشاريتها».

١٦ ــ محمد پور هرمزان:

«عضو اللجنة المركزية، ومسؤول مطبوعات الحزب. انتميت الى حزب توده سنة ١٩٤٢ وكنت حينذاك ضابطا فى الجيش، اشتركت في حركة ضباط خراسان سنة ١٩٤٥، وعدت بعد انتصار الثورة».

١٧ ــ فريدون تفرشي:

«انخرطت في حزب توده عام ١٩٤٩. سجنت بعد الانقلاب العسكري الذي اطاح بحكومة الدكتور مصدق و بقيت حتى اندلاع ثورة الجماهير عام ١٩٧٧، بعد انتصار الثورة استأنفت نشاطي في الحزب، وكنت مسؤول لجنة القطاع الرابع لناحية شمال إيران».

١٨ ــ شاهرخ جهانگيري :

«إنتميت الى الحزب عام ١٩٧٣، وكنت من أعضاء المجموعة الحزبية التي سميت فيما بعد بمنظمة «نويد». بعد انتصار الثورة الاسلامية أصبحت أحد مسؤولي التنظيم السري. في المؤتمر السابع عشر أنتخبت عضواً في اللجنة المركزية للحزب».

عندما أدلى المشاركون في هذه الندوة باعترافاتهم ضم بعضها عبارات مكررة و معادة فاضطررنا الى اختصار وحذف المتكررمنها بينما ضم البعض الآخرأموراً جديدة لذلك ركزناعليها و هذا ما سنفعله أيضا في الحلقتين الثانية والثالثة من هذه الطاولة المستديرة.

محمد علي عموئي:

«في هذه المقابلة ستسمعون من لسان قادة الحزب مسائل لم تروها في نشرات الحزب وأدبياته، بل إنها من المسائل التي حاول الحزب دوما أن يخفيها و يطمس معالمها وآثارها...

لعل بيان هذه الحقائق يستطيع أن يزيل ماعلق في أذهان أنصار الحزب من مسخ للحقائق، ومن تشويه لمايجري في إيران والعالم.

هذا هو دافعنا لعقد هذه المقابلة الجماعية، أوهذه الطاولة المستديرة باشتراك زعماء الحزب وكبار مسؤوليه كي نبيّن ــ قدرما يستوعبه برنامج تلفزيوني ــ الوجه الواقعي لحزب توده و قائمة أعماله.

ركعنا أمامَ الاخلاقية الجديدة

إن القرار الذي اتخذناه بالاعتراف لم يكن قراراً آنياً ومرتجلاً. لقد اجتزنا بعد الاعتقال مراحل عديدة، وكانت لنامع المحققين ومسؤولي المعتقل جلسات بحث وحوار طويلة. لقد كان بيننا في أول الأمر من يأبىٰ أن يجيب على أسئلة المحققين، لانه كان يرى نفسه أمام محقق شاب لايتجاوز عمره نصف أوثلث حياته السياسية لكن معاشرتنا لهؤلاء الشباب وحديثنا معهم وماواجهناه من أخلاق ومواقف وإخلاص وشهامة لديهم، غيّر وجهة نظرنا فيهم ودفعنا لأن نعود الى أنفسنا، ووفّر لنا فرصة لمراجعة تاريخنا.

لقد ألفينا أنفسنا خلال مراحل التحقيق أننا أمام أفراد مخلصين كل الاخلاص في أداء واجباتهم، ومهتمين كل الاهتمام في مهمتهم، و يتعاملون معاملة أخوية، وهذه الصفات البادية على هؤلاء الشباب المحققين ومسؤولي المعتقل هي في اعتقادي ناتجة عن إيمان عميق بحقانية النظام وبحقانية الطريق الذي يسلكونه، هذا الايمان نافذ في وجود هؤلاء الشباب.. إنهم شباب عظامٌ حقا!

يخال الانسان أنّ هؤلاء الشباب تنقصهم التجربة، لكنّ التعامل معهم يبين شيئاً آخر.. يبين أنّهم خلال ممارستهم لتجربة انتصار الثورة وصيانة

مكتسباتها قد نضجوا أيّما نضج، ونجد لذلك نماذج في جبهات القتال وفي كافة الجبهات والخنادق والمراكز الداخلية. نجدها هنا في هذا المعتقل حيث دارت بيننا وبين هؤلاء الشباب مناقشات ودية جادة أدت بنا الى التفكير العميق والمراجعة و من ثَمّ الى الاستسلام أمام الحقائق!!».

هذه الحقيقة التي يذكرها «عموئي» تحتاج الى وقوف طويل لايسعه هذا الاستعراض لكننا نستوقف القارئ عند كل جملة من جمل هذا الرجل لانها مهمة.. تبين معجزة من المعاجز التي حققها الاسلام في إيران.. وتجسد حقيقة قوله تعالى «والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا».

إنه لمذهل حقا أن يركع ماركسي قضى ستين عاماً في النشاط السياسي المركزأمام شاب عمره عشرون سنة ... يركع بقناعة واعجاب وانبهار وتراجع نفسي وفكري.. إنها عظمة الاسلام. عظمة هذا الدين الالهّي الذي يسمو بفكر الانسان وروحه، ويفجر طاقاته ويكسبه نضجاً وشخصية واتزانا لايجدها اطلاقا في المدارس الوضعية.

وثمة مسألة أخرى هي ان هؤلاء القادة الشيوعيين المرتبطين بموسكو يشتركون مع عملاء أميركا والغرب في شيء واحد هو «المصلحية»!! يشتركون في فهم كل شيء على أنه صراع مصلحي وهم حين وجدوا شبابا ذابت مصالحهم في رسالتهم الفكرية.. يضحون من أجلها ويتفانون في سبيلها.. ويخلصون لها كل الاخلاص.. حين عاش هؤلاء الماركسيون زمنا مع هؤلاء الفتية المتقين الذين آمنوا بربّهم وزادهم الله هدى.. تراجعوا.. أحسوا بضعفهم.. وبصغرهم، وراحوا يعترفون بكل شيء.. حتى بمالم يطلب منهم في التحقيق.

ضجيج الاعلام المضاد

واصل عموئي حديثه، وانتقل الى الضجة الاعلامية التي أثارها الشرق والغرب معاً ضد الجمهورية الاسلامية عقب اعترافات قادة «توده» وقال:

«سمعنا من الإذاعات ومن وسائل الاعلام المعادية للجمهورية الاسلامية أن المقابلات التي جرت مع أعضاء حزب توده، كانت بفعل الضغوط الجسمية والنفسية، أوعلى أثر العقاقير الكيمياو ية، و بعض أعضاء حزب توده في الخارج أيضا نشروا بيانات بهذا الشأن تحت عنوان.. (أوقفوا محاكم التفتيش)! و (اليمينيون يهجمون على حزب الطبقة العاملة)!! وامثالها.. حتى راحوا يتحدثون أيضاعن تعذيب بعض أعضاء الحزب وإعدام بعضهم وفي جمعنا هذا واحد من الذين اشتركوا في كتابة هذه البيانات الكاذبة. وأترك الحديث له ليوضح لكم بنفسه ذلك».

وهنا تحدث أحد المشاركين وهو «ميزاني» فقال:

«بعد اعتقال الوجبة الاولى من أعضاء حزب توده وجّهنا رسالة مفتوحة الى المسؤولين في الجمهورية الاسلامية، ذكرنا فيها: «أن أعضاء حزب توده المعتقلين يعيشون تحت أقسىٰ انواع التعذيب و نقل بعضهم على أثر ذلك الى المستشفى، كل ذلك من أجل إجبارهم على الخروج على شاشة التلفزيون والإدلاء باعترافات كاذبة». قلنا هذا للمسؤولين ونحن لانعلم مايدور في المعتقل، قلناه حدسا لاننا نعلم بوجود جرائم ارتكبها الحزب لايمكن للمعتقلين ان يتنصلوا منها، واحتملنا انهم سيظهرون على شاشة التلفزيون، ولذلك حاولنا تدارك الامر قبل وقوعه، والآن أنا أعيش في المعتقل عدة أشهر، ومارأيته في المعتقل من قِبَلِ الإدعاء العام والمحققين ينطبق تماما مع الموازين القانونية والأصول الانسانية، وأنا أنفي تماماً ماجاء في تلك الرسالة المفتوحة».

ثم اخذ «عموئي» بناصية الكلام وقال:

«إذاعة صوت أميركا وإذاعة بي ــ بي ــ سي ، وإذاعة اسرائيل أيضا أذاعت بدورها أخباراً عن التعذيب النفسي والجسدي واستخدام الأدو ية والحقن الكيمياو ية ونظائرذلك في أخذالاعترافات من أعضاءحزب توده. هذه الإدّعاءات طبعامن السخف والتفاهة بدرجة بحيث لاتحتاج الى ردّ. فظهورقادة الحزب عدة مرات على شاشة التلفزيون، واعترافاتهم الصريحة خيردليل على سخف هذه

الادعاءات.

وهنا يُطرحُ السؤال عن سبب وقوف هذه الابواق الدعائية فجأة ومرة واحدة للدفاع عن حزب توده. في الواقع ان الامبريالية تلجأ الى كل وسيلة للطعن على الجمهورية الاسلامية الايرانية.

وكما أشرت من قبل فان المشاركين في هذه المقابلة اشتركوا عن طيب خاطر فيها، و يعتبرون هذا واجبا يفرضه عليهم ضميرهم، وهم واثقون أن دعايات أعداء الثورة ظاهرة الزيف ولايصدقها أحد».

وبعد أن عرّف المشاركون أنفسهم، واصل عموئي حديثه عن الضجيج الاعلامي المفتعل وقال:

«في أميركا وأوروبا ضجة إعلامية بشأن اعترافات أعضاء حزب توده واعتقال كوادرهم المتقدمة، تستهدف النيل من الجمهورية الاسلامية.

من الموضوعات التي أُثيرت في الصحافة هناك مقتل ــ آصف رزم ديده ــ وهو حاضر كما ترون اليوم بين جمعنا عند هذه الطاولة المستديرة، هذه الصحيفة (و يرفع الصحيفة بيده و يظهرها على شاشة التلفزيون، وهي صحيفة يسارية أوروبية) ادعت ان «آصف رزم ديده» مات على أثر التعذيب الوحشي.

وفي هذا المجال ايضا كتبوا أن الرفيق أوانسيان استشهد تحت التعذيب وها أنتم ترون أوانسيان جالسا الى هذه الطاولة المستديرة.

صحيفة الديلي نيوز ــ نقلا عن صحيفة إيران نيوز الناطقة بلسان الملكيين الفارين في لندن ــ ذكرت خبر اعدام كيانوري زعيم الحزب. وهذه الصحيفة صدرت قبل شهرين ونصف الشهر، وها إنكم ترون كيانوري بيننا.

نبدأ حديثنا اليوم باستعراض ماضي حزب توده».

نور الدين كيانوري:

«تحية الى الامام الخميني قائد الثورة الكبير و مؤسس الجمهورية الاسلامية، وتحية الى أبناء الشعب الايراني البطل الذي يشمر عن ساعد الجد سواء على جبهات القتال للوقوف بوجه عدوان صدام الصهيوني وحماته، أوعلى الجبهة الداخلية في حقول البناء ودعم الجبهة لبناء ايران الجديدة. وفق نموذج اسلامي.[٨٣]

كما تلاحظون، إني حي لم أعدم ، وأنا مشغول الآن في إجراء هذه المقابلة، وماقيل في الصحف ووسائل الاعلام بشأن استعمال المحاليل الكيمياوية وخبراء وكالات الاستخبارات العالمية كالموساد وسي ــ آي ــ أي ــ والانتلجنت سرفيس، وغيرها من الخزعبلات قدأجيب عليها. وأريدهنا أن أضيف شيئا آخر.

ليست اعترافاتنا ناتجةً عن ضعف:

قد يخطر في ذهن بعض الشباب العاطفي المتحمّس، أننا أجبرنا على أن نأتي هنا لأن نقرّ بأمور تخالف معتقداتنا بعد أن حصل فينا انهيار أمام التهديد بالموت والتهديد بالاعدام!

أريد أن أقول لهؤلاء الشباب: لا تكونوا بسطاء الى هذه الدرجة، لئن تروا اليوم زعيم الحزب الذي ناضل أكثر من أربعين عاماً يتحدث إليكم بهذا الشكل عقب سبعة أشهر من الاعتقال فقط فذلك لايمكن أن يكون خوفا من إعدام. إنه مواجهة الحقائق والمعايير الجديدة التي لم يكن يعرفها قبل الاعتقال.

قيادة الحزب بأجمعها تقريبا بدأت بتقييم جديد للحزب والذات، على ضوء هذه المعايير الجديدة، ووصلت الى ماوصلت اليه من نتائج تطرح عليكم اليوم.

بعد هذه المقدمة استعرض تاريخ الحزب ذاكراً الحقائق التي كنا نخفيها عن الحزبيين وعن الناس.

أسباب سقوط توده

بدأ كيانوري يتحدث عن تاريخ حزب توده واستهل هذا المقطع من كلامه بذكر اسباب سقوط هذا الحزب وعزى ذلك الى عاملين أساسين هما ١ ــ التبعية ٢ ــ عدم فهم المجتمع الايراني.

فعن التبعية قال:

«حزب توده في الواقع نشأ عام ١٩٤١ في أحضان الاتحاد السوفيتي،

وهكذا الحزب الشيوعي الايراني، ومجموعة الثلاثة والخمسين من قبل نشأت في أحضان الكومنترن أي الاتحاد السوفيتي ايضا.

منذ تأسيس الحزب كان توده تابعا للاتحاد السوفيتي في معتقداته وسياسته. وكانت هذه التبعية واضحة مألوفة عند أفراد الحزب، واتخذت شكلا طبيعيا لديهم كأن يغادروا مثلاً للاقامة في الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية، أو يتسلّموا المعونات الاقتصادية من السوفيت».

ثم ذكر كيانوري نموذجا من هذه التبعية في قضية إصرار حزب توده على منح امتياز نفط شمال إيران إلى الاتحاد السوفيتي وتحدث عن تشكيل جمهورية آذربايجان الديمقراطية وجمهورية كردستان تحت ظل الحماية السوفيتية، وقال إن الاتحاد السوفيتي عمد الى هذا العمل الانفصالي للضغط على الحكومة الايرانية والحصول على امتياز نفط الشمال، وحين حصل السوفيت على وعود من حكومة قوام السلطنة بشأن منحهم امتياز النفط سحبوا تأييدهم لفرقة الديمقراطيين الآذربايجانيين والانفصاليين الاكراد، وعرّضوا أبناء المنطقتين لمجازر دموية ذهب ضحيتها الآلاف. وحزب توده ــ بسبب تبعيته العمياء للاتحاد السوفيتي ــ أيد مسألة منح امتياز نفط الشمال للسوفيت، كما أيّد الاعمال الانفصالية في آذربايجان و كردستان.

ثم تحدث كيانوري عن العامل الثاني.. عامل عدم فهم طبيعة المجتمع الايراني، وقال:

«السبب الثاني هو عدم فهمنا المجتمع الايراني، كنا لانفهم المجتمع الايراني ابداً، كانت دراستنا تشمل غالبا المجتمعات الاوروبية، وتاريخ حركات الدول الاوروبية، كانت هذه تربية الجيل الاول من الشيوعيين ونحن تربينا على يد أولئك وهذا الجيل الجديد تربّى على أيدينا بهذا الشكل، معلوماتنا عن المجتمع الايراني لا تكاد تذكر، وهنا أذكر فقرة رائعة من كتاب الشهيد مرتضىٰ مطهري عن مقدمة كتاب: (علل الاتجاه نحوالمادية) ص ٣٢ قال:

(المادية الجديدة التي وجدت لها موضعَ قدم في إيران منذ أقل من نصف

قرن، لم تكن تتوقع أن تواجه منطق الآلهيين بالشكل الذي واجهته فيما بعد، ولم تكن تدري عمق نفوذ الدين بين عامة الشعب وخاصة بين الجماهير، كانت تظن أنها قادرة على دحر المنافس على صعيد المنطق والاستدلال وعلى الصعيد الاجتماعي).

إنها حقيقة واقعة، نحن لم نكن نفهم إطلاقا تاريخ إيران ولامجتمع إيران ولاشعب إيران.

نحن بتفضيلنا أيديولوجية غريبة على الطبيعة الاسلامية للمجتمع الايراني وقعنا في ماوقعنا فيه من تبعية وجهل بالمجتمع الايراني».

السبب الثاني الذي يذكره «كيانوري» لسقوط توده في إيران يستحق الوقوف عنده طويلا ومايسعنا أن نقوله في هذا العرض العاجل هو ان أقوال «كيانوري» تعبر عن تجربة واقعية عملية استمرت اكثر من اربعين عاما وأسفرت عن خيبة وانحراف وسقوط في أحضان التبعية والخيانة.

أقوال كيانوري هذه تستطيع أن تكون خير عبرة لكل الموتورين من أتباع المدارس الوضعية الكافرة.

إنها دروس عملية حية لأولئك الذائبين في المدارس الفكرية المستوردة والهائمين مع تيارات الغزو الفكري.. دروس توضح لكل أولئك حقيقة مهمة هي أن المجتمعات المسلمة لايمكن فهمها من خلال الأطر الفكرية الغريبة.. المجتمعات الاسلامية ــ مع كل مافيها من انحرافات عن المدرسة الاسلامية ــ لها ثقافتها الخاصة وتطلعاتها الخاصة ونفسيتها الخاصة، لايمكن تحريك هذه المجتمعات وتفجير طاقاتها إلابالاسلام. وهذا ماأكده حتى المستشرقون أمثال العالم الفرنسي (جاك أوستروي) الذي ذهب الى أنّ التنمية الاقتصادية في العالم الاسلامي لايمكن أن تحقق تطوراً ملحوظاً ولايمكن أن تعبّئ طاقات المسلمين إلاضمنَ إطار الاقتصاد الاسلامي.[٨٤]

هذا على الصعيد الاقتصادي.. وعلى الصعيد السياسي والنضالي أثبتت تجربة الثورة الاسلامية في إيران قدرة الاسلام الخارقة على تحقيق المعجزة في هذا الحقل، وإن كانت هناك في التاريخ القديم والمعاصر تجارب

اسلامية كثيرة أخرى في مجال تعبئة الطاقات من أجل معركة الهدم والبناء.

وكما إن «تحريك» الامة لايكون إلا بالاسلام كذلك «فهم» الامة الإسلامية غير مقدور إلاّ مِن خلال الاسلام أيضا.

إنعزال الفئة (المثقفة) المتميعة بحضارة المستعمرين عن الامة الاسلامية يعود بالدرجة الاولى الى عدم قدرة هؤلاء على فهم أمتهم.

مأساة المنتمين الى الأحزاب الكافرة في العالم الاسلامي لها نفس الجذور. هؤلاء يحاولون أن يفهموا تاريخ أمتهم من خلال تاريخ أوروبا و يفهموا الصراع الفكري في مجتمعهم من خلال دراسة هذا الصراع في أوروبا ليخرجوا من كل ذلك بنتائج ممسوخة مقلوبة هزيلة طالما تبعث على الضحك.

وهناك ظاهرة ينبغي التاكيد عليها وهي أن الصحوة الاسلامية الاخيرة أثرت على كثير من المنتمين الى الاحزاب الكافرة فبدأوا يراجعون أفكارهم وتاريخهم وممارساتهم ومواقفهم. ومن هنا نشطت الدوائر الاستعمارية الصهيونية لتمسخ حقيقة سبب تخلف الاحزاب الكافرة عن مجتمعاتها في العالم الاسلامي ولتقول لهؤلاء «المراجعين» مثلاً: إن سبب هذا التخلف والانفصال يعود الى «عدم وجود اتصال مرغوب بين العقل العربي والعقل الغربي». وأن مشكلة الاحزاب العربية هي خلوها من الفلاسفة المتحرّرين من سيطرة الدين والمؤمنين بقيم الحضارة الغربية.[٨٥] على أي حال ستبقى تجربة حزب توده ــ على الرغم من كل محاولات المسخ والتشويه ــ درساً لكل من ألقى السمع وهو بصير.

نموذجان لسوء الفهم

أورد «كيانوري» مثالين يفصحان عن سوء تقييم حزب توده لما كان يجري في ايران بسبب تبعيته ومنطلقاته الفكرية الاجنبية، فقال:

«في فترة وجود الحزب خارج إيران شهد المجتمع الايراني حادثتين كبيرتين، الاولى سلبية والثانية إيجابية ولكننا مع الاسف، بسبب خصائصنا، لم نستطع أن نفهم هاتين الحادثتين.

الحادثة السلبية الكبرى كانت عبارة عن إصلاحات الشاه التي كانت تطبق في إيران بأمر الامبريالية الاميركية.. لقد كانت سياسة إستعمارية جديدة تستهدف مسخ كل الخصائص الوطنية للمجتمع الايراني، ورأينا عواقب هذه السياسة خاصة خلال العقد الأخير من حياة الشاه، وشاهدنا مدى عمق الفساد الذي انجرّ اليه المجتمع.

نحن لم نفهم هذه الحادثة، واعتبرناها إجراءات تقدمية، وأعلنا تأييدنا لها.

وثمة حادثة أخرى شهدها المجتمع الايراني هي انتفاضة ١٥ خرداد ١٣٤٢ (٥ حزيران ١٩٦٣) لقد اتخذ حزبنا من هذه الحادثة موقفا إيجابيا على الرغم من موقف الاعلام السوفيتي آنذاك [٨٦] لكنه لم يفهم إطلاقا أن هذه الانتفاضة شرارة سيعقبها بركان يقتلع جذور كل مآسي المجتمع الايراني.

في أوائل سنة ١٩٧٨م و بعد حادثة الجمعة السوداء، كان السكرتير الاول للحزب يتحدث عن حسنات النظام الملكي الدستوري وعن الحريات التي يحصل عليها المواطنون في ظل هذا النظام واقتنع حزبنا ببقاء الحكم الملكي. و بقي البحث دائراً داخل الحزب حول هذه المسألة حوالي سنة واحدة حتى حصلت القناعة لدى المسؤولين السوفيت أن تياراً واحداً هو المنتصر في إيران وهو التيار الذي يقوده الامام الخميني ونتج عن ذلك أن تغيرت قيادة حزبنا وقبلنا نحن أيضا تبعا لقناعة السوفيت أن تيار الامام الخميني هو التيار المنتصر الوحيد، و بقية التيارات تابعة وذيلية ومعيقة لحركة الثورة.

و بعد مجيئنا الى ايران، لم نستطع مع الاسف ــ بسبب نفس الامراض المذكورة ــ أن نبقى أوفياء للحقيقة التي انبثقت في أذهان بعضنا قبل انتصار الثورة.

فضائح حزب توده

لم يكن لحزب توده خارج البلاد شغل سوى التناحر بين أعضائه، بقينا عامين في الاتحاد السوفيتي، ثم انتقلنا الى جمهورية ألمانيا الديمقراطية ليتيسر لنا الاتصال بايران، ولنحاول لمّ شتات الحزب. والواقع أننا خلال (١٥) عاما، أي حتى عام ١٩٧٤ لم يكن لدينا أي نشاط في إيران.

نعم ظهرت نشاطات لحزب توده خلال الاعوام المذكورة، ولكن كانت

تلك النشاطات من قبل جهاز أمن الشاه ـ الساواك ـ فالساواك استطاع أن ينفذ الى قيادة الحزب و يوجه نشاطاته و يكتشف أعضاءه، وبهذا الشكل انهار حزب توده تماما في إيران.

ذات مرة شكل الساواك نفسه مجموعة من حزب توده بقيادة عباس شهرياري، وكان الهدف أن تتصل هذه المجموعة بأفراد الحزب في الخارج، وتجذبهم الى الداخل كي يقعوا فريسة بيد الساواك.

ثمة مسألة أخرى وهي أننا كنا خلال هذه الفترة نغطي على نقاط ضعفنا بإعلام كاذب. فحاولنا مثلاً أن نصوّر من (روز به) بطلاً مدافعا عن حزب توده حتى النفس الاخير بينما أدلى (روز به) بتصريحات أدان فيها حزب توده واعترف فيها بأنواع الاغتيالات التي قام بها الحزب عن طريق فرقة الاغتيالات الحزبية مثل اغتيال «محمد مسعود» ولكنا حذفنا هذه الفقرة من اعترافاته عندما نشرنا محاكمات خسرو روزبه، في الحقيقة نحن حذفنا ثلاثة مواضع من محاكمة روزبه، مع أنها كانت حقائق أدلى بها بدون تخويف أو ضغوط».

ثم أشار «كيانوري» الى اغتيال حسام لنكراني، وهومثل محمد مسعود، من اعضاء حزب توده لكن الحزب قرر ـ لاسباب داخلية ـ اغتياله، واغتاله فعلا عن طريق فرقة الاغتيالات بـ قيادة «روزبه».

ثم تحدث «حسين جودت» عن طريقة قتل حسام لنكراني وكيف أن فرقة الاغتيالات دعته الى بيت وذبحته ودفنته في ساحة ذلك البيت.

جدير بالذكر أن اغتيال هذين الشخصين لم يكن معروفا من قبل بأنه تمّ على يد حزب توده نفسه.

انوشيروان ابراهيمي

«الموضوع الذي سأشرحه باختصار في هذه المقابلة هوالمصير المؤلم لفرقة الديمقراطيين الآذربايجانيين وماشاهدته بأم عيني بشأن هذه الفرقة.

جمهورية اذربايجان الديمقراطية!

«سيد جعفر بيشه وري» كان من المقرر ان يكون ممثل مدينة «سلماس» في المؤتمر الاول لحزب توده، لكنه لم يدع الى حضور المؤتمر بسبب الخلافات الداخلية في الحزب [٨٧] .

كان «بيشه وري» يصدر صحيفة باسم (آجير) في طهران ، ذهب الرجل الى تبريز و في عام ١٩٤٥ أصدر بيانا أعلن فيه تشكيل فرقة الديمقراطيين الآذربايجانيين، و بعد أن اطلعت على أهداف الفرقة انتميت اليها عام ١٩٤٦ مندفعا بعواطف الشباب، غير عالم أن كلمات: الحرية، والاستقلال، وحق الحكم الذاتي، والسيادة الوطنية، لها معنى آخر في قاموس مؤسسي الفرقة. خلف الستار كانت تدور مسائل لايطلع عليها سوى قادة الفرقة، و مما لاشك فيه أن تشكيل هذه الفرقة وإعلان الحكم الذاتي في آذربايجان كان في ظل قدرة الجيش الاحمر السوفيتي وبمساندة ستالين والسكرتير الاول للحزب الشيوعي لجمهورية آذربايجان السوفيتية.

قيادة الفرقة كانت تتشكل من أعضاء حزب توده سوى ثلاثة أوأربعة أعضاء، ثم التحق فرع الحزب في آذربايجان بالفرقة.

أرسلت اللجنة المركزية للحزب عددا من أعضاء التنظيم العسكري للحزب الى آذربايجان إعرابا عن دعمها واسنادها.

في أواخر عام ١٩٤٥ أعلنت الفرقة الحكم الذاتي في آذربايجان بدعم من الجيش الاحمر.

إتضح فيما بعد أن هذه الفرقة، مثل حزب توده، آلة بيد ستالين»..

ثم واصل ابراهيمي حديثه عن المساومة التي حدثت بين قوام السلطنة رئيس وزراء الشاه والمسؤولين السوفيت بشأن منح السوفيت امتياز نفط شمال إيران، وتحدث عن المجزرة الدموية التي تعرضت لها آذربايجان وكردستان على يد الشاه، بعد هذه الصفقة وقال:

«بعد سقوط جمهورية آذربايجان، هربت قيادة الفرقة دون علم الاعضاء

والناس الى الاتحاد السوفيتي، و بعد القيادة فرّما يقارب الخمسة آلاف الى ستة آلاف شخص الى آذربايجان السوفيتية وكنت فيمن فرّ آنذاك.

وفي الاتحاد السوفيتي نسيت الفرقة كل التزاماتها النضالية وانحصرت اهتماماتها في الامور المعيشية.

و بعد ثلاثة عشر عاما من تشكيل الفرقة انعقد مؤتمر وحدة حزب توده وفرقة الديمقراطيين الآذربايجانيين في المهجر تحت اشراف الاتحاد السوفيتي، ومنذ ذلك الوقت أصبحت عضواً في حزب توده».

ثم تحدث إبراهيمي عن عودته بعد انتصار الثورة الاسلامية الى أرض الوطن، وعن «عودة حليمة الى عادتها القديمة» واخى باللائمة على تبعية توده والديمقراطيين للاتحاد السوفيتي، والخيانات التي ارتكبتها المجموعتان جرّاء هذه التبعية. وأدان مواقف توده العدائية المنافقة من الجمهورية الاسلامية، وقال:

«إنها على الاقل نكران لجميل الشعب الايراني الذي قدم دمه ليمهد الطريق أمام عودتنا الى أرض الوطن».

رضا شلتوكي :

«قبل كل شيء «لابد من كلمة أوجهها الى الشباب خاصة ليزيحوا عن أذهانهم كل الحجب التي تبعدهم عن الحقيقة، ولكي أفتح منافذ قلوبهم على مايقال في هذه الاعترافات.

أيها الاصدقاء الأعزاء.. إن الالم عميق، وإن المأساة فظيعة لايمكن تغطيتها بإثارة إشاعات مثل زرق المعترفين بحقنات طبية وتجريعهم عقاقير كيمياوية! ومثل اتهام المحققين معنا بأنهم أعضاء في وكالات الاستخبارات الاميركية والبريطانية والاسرائيلية!

تعالوا هنا وانظروا الى هؤلاء المحققين، إنهم مجموعة من أطهر وأنقى وأفقر أبناء المجتمع... مجموعة مخلصة، مضحية، متفانية، رسالية، مغرمة بخطها و بإمامها

و بثورتها... مجموعة لايسمح سن أيٍّ من أعضائها أن يكون قد اجتاز أية دورة... مجموعة ليس لنشاطاتها حدود ولافي أسبوعها عطلة!!

بقدر مايتعلق الأمر بناسوف لانسمح لأحد أن يستغل أسماءنا للطعن على الجمهورية الاسلامية الايرانية.

أيها الاصدقاء الاعزاء! أيها الاصدقاء الشباب. نحن كنا على المستوى النظري متلهفين لثورة الكادحين، وسعينا الى تحقيق هذه الثورة في زمن الطاغوت قدر وسعنا واليوم فان هذه الثورة نصب أعيننا تنهض بأعبائها الجماهير المحرومة، و يقودها إمام الامة، وقد غفلنا نحن عن هذه الحقيقة العينية الملموسة، وجرينا وراء السراب.

دافِعُنا ــ في هذه الاعترافات و بيان الحقائق ــ الشعور بالمسؤولية أمام هذه الثورة ومصيرها».

الشيوعية و ايران

ثم تحدث شلتوكي بعد هذه المقدمة عن (الازدواجية) والنفاق في مواقف حزب توده مستعرضا هذه الازدواجية من خلال إلقاء الضوء على تبعية الحزب للاتحاد السوفيتي، و موقفه الخياني من حركة تأميم النفط ومن الانقلاب الاميركي الذي أطاح بحكومة الدكتور مصدق، وتحدث عن موقف توده الخياني المنافق من الحرب المفروضة على الجمهورية الاسلامية، ومن قوانين الجمهورية الاسلامية، ثم قال:

«كما أشرت في بداية بحثي، العامل في كل هذه المواقف المنافقة الى شيئين: الاول التبعية، والثاني: الايديولوجية.

الماركسية والمجتمع الايراني[٨٨] قطبان متضادان في الايديولوجية، والاصول والاخلاق والتحليل النفسي، والتحليل الاجتماعي، وطريقة الحياة والمعايير، والقيم.

منذ ستين عاما، (أي منذ ثورة أكتوبر) تعرف أبناء شعبنا على الماركسية، وكلما ازداد تعرفهم عليها زاد بعدهم عنها.

الماركسيون في المجتمع الايراني يشكلون أقلية تافهة من (المثقفين) وهم يشكلون قطبا متناقضا مع الجماهير المليونية للشعب الايراني، وهذا التناقض هوالذي جرَّ ماجرَّ على حزب توده ودفعه الى طريق مسدود».

علي گل آويز

ثم تحدث علي كلاويز عن مواقف حزب توده والاتحاد السوفيتي تجاه «كردستان» وأكد أن تاريخ كردستان ومصيرها اقترن بتاريخ آذربايجان، ومنطقة كردستان لاقت نفس المآسي التي لاقتها آذربايجان ــ كما ذكر ذلك ابراهيمي ــ.

وأكد أن سياسة الاتحاد السوفيتي في كردستان هي اتخاذ هذه المنطقة وسيلة للضغط على دول المنطقة وقال:

«كلما رأى السوفيت شرارة في كردستان يستطيع أن يستثمرها لصالحه، صب عليها الزيت، كي تلتهب ووجَّهها نحو تحقيق مآربه. واذا لم يجد فيها مايحقق مصالحه تركها ولفظها لفظ النواة».

وحزب توده في كردستان كان يدين الفئات الكردية الموالية للغرب مثل جماعة قاسملو، ومجموعة كومولة، ولكنه كان يفعل ذلك من أجل أن تكون له الكلمة العليا في كردستان و يكون سيد الموقف في المنطقة».

ثم اختتم كلاويز حديثه بتوجيه كلمة الى أهالي كردستان مؤكداً فيها أن عزة الاكراد وكرامتهم واستقلالهم الواقعي لايتحقق إلاّ في ظل الجمهورية الاسلامية المعادية لكل تبعية شرقية وغربية، ونصح المغرَّر بهم من الاكراد أن يعودوا الى أحضان الثورة الاسلامية المعادية لكل عنصرية وشوفينية.

اعترافات الطاولة المستديرة

الحلقة الثانية ــ التجسس[٨٩]

الاعترافات التي يدلي بها الشيوعيون بعد انهيارهم في مراحل التحقيق لا تتضمن إشارة الى مسألة التجسس، لان الاعتراف بالتجسس يحمّل صاحبه جريمة الخيانة الكبرى التي يستحق مرتكبها، في كل قوانين العالم اقسىٰ العقوبات.

وان كان ثمة اعترافات منهم في هذا المجال فهولايتعدى الاعترافات بارتباطهم بالاحزاب الشيوعية العالمية، وتبادل المعلومات معها، وخاصة الحزب الشيوعي السوفيتي، باعتبار أن ذلك واجب أممي.

أما اعترافات أعضاء توده أمام القضاء الاسلامي فنجد فيها :

١) ــ إعترافاً بأن حزب توده مسخر من قبل الاتحاد السوفيتي والعوبة بيد السياسة السوفيتية.

٢) ــ مطالبة السوفيت لحزب توده بجمع معلومات معينة وخاصة المسائل العسكرية للدولة الاسلامية.

٣) ــ ارتباط بعض الاعضاء مباشرة بوكالة الاستخبارات السوفيتية ــ كي ــ جي ــ بي، دون أن يكون هذا الارتباط عن طريق الحزب.

وهذه الاعترافات تعني أن حزب توده مارس التجسس حقيقة، حتى وفق معايير الشيوعيين أنفسهم. كما تعني أنّ المعترفين قطعوا عليهم كل سبيل للتبرير. وهذا اللون من الأعترافات له دلالاته التي لاتخفى على القارئ.

غلام حسن قائم پناه:

«مؤسسو حزب توده وزعماء الحزب الاوائل كانوا بأجمعهم مرتبطين بالاتحاد السوفيتي وكان بعضهم قدتلقى دراسته هناك و بعضهم كان جاسوساً للسوفيت.

عمالة حزب توده للاتحاد السوفيتي كانت موجودة منذالبداية، لكني أركز في حديثي هذا على عمالة هذا الحزب خلال إقامة أعضائه في الاتحاد السوفيتي عقب الانقلاب الاميركي الذي أعاد الشاه الى الحكم وعقب اندحار حركة الديمقراطيين الآذربايجانيين.

المشاركون في هذه المقابلة معظمهم من أولئك الذين هاجروا الى الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية ومارسوا عملية التجسس لوكالة الاستخبارات السوفيتية ــ كي ــ جي ــ بي ــ خلال مدة تقرب من ثلاثين عاما.

الحزب ألعوبة بيد السوفيت

الزعماء السوفيت والحزب الشيوعي السوفيتي كانوا مسيطرين على كل حركات الحزب وسكناته وكانوا أيضا يشاركون في جميع الاجتماعات والمؤتمرات الحزبية، وكل التغييرات في مواقف الحزب، وهكذا جميع قراراته المرتبطة بالتنظيم الداخلي وبمسائل إيران إنماتُتخذ بناءً على أوامر وتوصيات الزعماء السوفيت وخاصة مسؤولي الأمن منهم.

عندبروز اختلاف في وجهات النظر داخل الحزب، كان المسؤولون السوفيت يسارعون لتقصي جوانب هذا الاختلاف، تحسبا لوجود خط مخالف للسوفيت داخل الحزب. وهذه الحساسية ازدادت عندبروز الاختلاف في الحركة الشيوعية بين بكين و موسكو. وفي إحدى المرات صدرت أوامر من الحزب الشيوعي السوفيتي لفصل مجموعة من قياديي حزب توده بسبب ميولهم الماو ية الصينية.

كانت هناك مجموعة داخل الحزب ترفع تقارير الى المسؤولين السوفيت عن كل ما يجري في الحزب، وكانت هذه المجموعة تتصل بمسؤولي الامن السوفيت مباشرة دون أن يطلع الحزب عليها.

و بشأن النشاطات التجسسية للحزب بعد انتصار الثورة الاسلامية، لابد أن أشير الى شركة تجارية كان يعمل فيها اثنان من قادة الحزب، وكانت وكراً تجسسياً لنقل الاخبار والمعلومات الى الاتحاد السوفيتي، ولتسلُّم الأوامروالمساعدات المادية والمعنو ية من السوفيت.

وثمة تنظيم سري داخل الحزب، سيتحدث عنه مسؤولوه بالتفصيل، هدفه جمع المعلومات من الافراد المتغلغلين داخل المؤسسات والدوائرمن أجل إيصالها الى الاتحاد السوفيتي، اضافة الى هدفه الاهم، وهو تهيئة الظروف اللازمة للاطاحة بنظام الجمهورية الاسلامية.

هدف التجسس

الهدف من التجسس وجمع المعلومات هو:

أولا: الاطلاع على نقاط الضعف في المؤسسات الثورية، وتضخيمها أمام الجماهير و بالتالي إيجاد الفرقة في صفوف العاملين واضعاف معنو ياتهم، ثم توفير الفرصة اللازمة للاطاحة بالنظام القائم باعتبار أن القضاء على النظام هدف استراتيجي للحزب.

ثانياً: جمع الاخبار والمعلومات وتسليمها الى الاتحاد السوفيتي لكسب ثقته أكثر بالحزب و بقدرة الحزب، ولكي تكون مساعداته مقتصرة على حزب توده، ولكي يستجيب للحزب إذا طلب منه ان يتدخل عسكريا ليساعده في الاستيلاء على السلطة.

مهدي برتوي

برتوي هوالمسؤول عن التنظيم السري داخل حزب توده وهو أكثر قياديي الحزب تحمساً في بيان كل دقائق العمليات التجسسية التي قام بها التنظيم. بدأ حديثه بمقدمة عن الاعلام العالمي المضلل بشأن التحقيق مع أعضاء حزب توده فقال:

في السجن واجهنا الحقيقة

«لابد أن أشير في بداية حديثي الى ما نشرته الابواق الدعائية اللئيمة المنطلقة من الشرق والغرب بعد اعتقال قيادة حزب توده و بعد الوجبة الاولى من المقابلات التي جرت مع بعض أعضاء القيادة، لقد أشاعت هذه الابواق أقاو يل بشأن التعذيب الوحشي! والحقن بالعقاقير الكيمياو ية! وغيرها من الاشاعات كي يخفوا وراء هذه الاجواء المفتعلة وجوههم الكالحة.

لقد أثبت التاريخ النضالي للشعوب أن أي لون من ألوان التعذيب

والتلقين لايستطيع أن يجر الناس الشرفاء الى الذل والضعف، والى نكران معتقداتهم ومقدساتهم إن كانت تلك المعتقدات واقعية إنسانية خالصة.

ولاأدلّ على ذلك من صمود أكثر المناضلين أمام التعذيب الوحشي الحيواني الذي كان يمارسه ضدهم نظام الشاه، ومن المقاومة البطولية التي يسجلها المكافحون في زنزانات الانظمة الفاشية الرجعية في جميع أنحاء العالم.

الوضع في سجون الجمهورية الاسلامية يختلف كل الاختلاف. حين يرى الانسان نفسه في سجن الشعب والثورة، و بعيداً عن الجدران الحزبية والتنظيمية، و يبقى وحده يفكر تفكيراً مستقلا في قائمة أعماله وأعمال رفاقه.. حين تتاح للفرد مثل هذه الفرصة، كيف يستطيع أن يصد نفسه عن الاعتراف بالحقيقة وبحقانية الشعب والثورة، إذا كانت في نفسه ذرة من الاخلاص والشرف الانساني؟!

نحن لم نكن مخلصين في نظرياتنا ولافي أعمالنا، ومن هنا اندفعنا للخضوع والاستسلام أمام إخلاص الثورة والشعب.

لابد أن أعلن هنا بصراحة أن معاملة الاخوة مسؤولي السجن لنا كانت بعيدة عن كل ضغوط وانتقام، بل وأكثر من هذا كانت معاملة بناءة وانسانية بشكل غير متوقع».

السوفيت يطلبون معلومات عسكرية خاصة

تحدث برتوي بالتفصيل عن تاريخ خيانات حزب توده، هذه الخيانات التي تنطلق بأجمعها من تبعيته للاتحاد السوفيتي، وعدد تلك الخيانات في خمس عشرة نقطة، وفي هذه النقاط لخص ــ في الحقيقة ــ ماقاله الذين سبقوه من المعترفين، ثم قال:

«نشط حزب توده بعد الثورة الاسلامية في تزو يد الاتحاد السوفيتي بالمعلومات العسكرية؛ والسرية فعلى سبيل المثال: في أوائل سنة ١٩٨٠ أقمت ــ بأمرالحزب ــ ارتباطا لمدة ار بعة اشهر باحدالدبلوماسيين السوفيت. وكنت ألتقي به في الشارع، وأسلمه ــ بأمر الحزب ــ المعلومات والوثائق العسكرية التي كان السوفيت يطلبونها.

وفي إحدى اللقاءات زودني هذا المسؤول السوفيتي بآلة تصوير تشاهدونها هنا ــ وعرضت الآلة على الشاشة ــ لتصوير الوثائق. الشريط الواحدفيها يسع لالتقاط الف صورة في آن واحدو بسرعة. كما زودني بمذياع يبدوعلى الظاهر عاديا لكنه كان يلتقط توجيهات رمزية بطريقة مورس من مرسلة في السفارة السوفيتية. وتفاصيل ذلك موجودة في إضبارة التحقيق.

وثمة مثال آخر أستطيع أن أذكره في هذا المجال، يبين أهداف السوفيت المشؤومة هو أن المعلومات والوثائق تأخرت ــ مرة ــ في وصولها الى المسؤول السوفيتي. فاقترح هذا المسؤول أن يعطينا مبلغا من المال لتوزيعه على الذين يوفرون لنا هذه الوثائق والمعلومات، وأنارفضت ذلك وقلت له: إن هؤلاء يؤدّون واجبا حزبيا، ولاحاجة للمال، وأبلغت الحزب آنذاك بماجرى. على كل حال تزويد الافراد بالمال من أجل التجسس أمر عادي بالنسبة للمسؤولين السوفيت. تزويد السوفيت بالمعلومات لم يقتصر طبعا على فترة ارتباطي بهذا المسؤول بل كانت هذه العملية موجودة قبل تلك المدة وبعدها. وسيوضح المشاركون في هذه المقابلة ذلك».

ثم تحدث برتوي عن محاولات حزب توده في تضليل أعضائه بشأن إبعاد تهمة الارتباط بالاتحاد السوفيتي عنه. وأوضح حرص الحزب على إخفاء اتصاله بالمسؤولين السوفيت عن بقية الاعضاء.

ثم استعرض هذا القيادي الشيوعي بالتفصيل تاريخ الحركة الشيوعية العالمية، وخدمة هذه الحركة للدولة الشيوعية الام، وأكّد ان الماركسية تحمل بذاتها طابع التبعية الفكرية والسياسية والعاطفية، كما أن الارتباط التنظيمي للأحزاب الشيوعية العالمية يجعل هذه الاحزاب تحت سيطرة الحزب الشيوعي السوفيتي وبالتالي تحت سيطرة الحكومة والاستخبارات السوفيتية.

فرج الله ميزاني

«بعد قيام الجمهورية الاسلامية، وبدء النشاطات العلنية للحزب،

كانت لي معهم عدة اتصالات، ولكن، وكما قال المتحدثون قبلي، كان المسؤولون السوفيت لايرضون الاكتفاء بالاطار المذكور بل كانوا يتجاوزونه دائما للحصول على معلومات تجسسية. وكانوا يطلبون معلومات معينة خلال رسائل كنت أوصلها الى كيانوري.

في إحدى المرات أعطاني كيانوري رزمة أوصلتها لهم».

أحمد علي رصدي

مرت اعترافاته بشأن ارتباطاته بالاستخبارات السوفيتية قبل الثورة وبعدها وفي هذه المقابلة أعاد تلك الاعترافات ثم قال:

«في اتصالاتي بالمسؤولين السوفيت بعد انتصار الثورة الاسلامية الايرانية كان المسؤولون يطلبون مني معلومات عن التيارات المختلفة العاملة في الساحة الايرانية وخاصة المعارضة كما كانوا يطلبون مني معلومات عن مواقف بني صدر وخطاباته وعن سائر الشؤون الايرانية. كما قلت سابقاً لم تكن قيادة الحزب على علم بهذه الاتصالات بل كنت أتبرع باعطاء هذه المعلومات شخصيا باعتبارها خدمة أممية.

هذه الاتصالات نموذج للتدخل السوفيتي المباشر في شؤون الاحزاب الشيوعية الصغيرة كما انها تشكل نقضاً صريحاً لمبادئ وقرارات الاحزاب الشيوعية نفسها. كما انها تتناقض و مبادئ المؤتمر العالمي للاحزاب الشيوعية والعمالية القاضية بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للاحزاب الاخرى».

الشيوعية ترفض القيم

وهنا علق «عموئي» على اعترافات «رصدي» وقال:

«إن التناقض بين القول والعمل في الحزب الشيوعي السوفيتي يدل **أولا:** على السياسة التوسعية للسوفيت، و يدل **ثانياً:** على عدم وجود قيم ثابتة محترمة في المدرسة الشيوعية بحيث يستطيع الشيوعي أن يرتكب كل إثم وجريمة عن طيب

خاطر بما في ذلك التجسس».

ثم واصل «رصدي» حديثه، فاكد انعزال حزب توده عن جماهير الشعب بسبب تبعيته وعمالته، كما أكدعلى أنه مذنب وشريك في كل الجرائم التي ارتكبها الحزب.

كاكيك أوانسيان

«ما استطيع أن أذكره هنا هوأني اتصلت عام ١٩٨٠ بأحد مسؤولي منظمة كي ــ جي ــ بي، وفي مرة أومرتين سلمني رزمة أوصلتها الى كيانوري، كما أوصلت رزمة صغيرة من كيانوري إليه.

ولتسهيل الاتصالات بعد ذلك ، اتفقنا على أن لايكون اللقاء بيننا مباشراً، بل إني أضع ما أريد إيصاله إلى مسؤول الاستخبارات السوفيتية في مكان معين من الشارع، و هو يضع أيضا مايريد إيصاله إليّ في مكان متفق عليه».

ثم ردّ أوانسيان على الدعايات التي تثيرها الابواق الاستعمارية بشأن تعذيب قيادة حزب توده، و بشأن مقتله تحت التعذيب..

فريدون قم تفرشي

«ما يرتبط بي شخصيا من عمل تجسسي مباشر يتلخص في اتصالي قبل شهرين بمسؤول الدائرة التجارية السوفيتية في طهران، باعتباري ممثلا عن مؤسسة تجارية كانت تمارس أعمال التجسس وفي هذا الاتصال كنت عضو ارتباط بين الحزب و بين المسؤولين السوفيت، كنت أقوم بعملية تبادل الرسائل بين الجانبين».

التنظيم السري

ثم استأذن «مهدي برتوي» أن يتحدث أكثر عن التنظيم السري الذي كان يتزعمه في حزب توده، فقال:

أنيطت بي مهمة الاتصال بالمسؤولين السوفيت في إطار علاقات الحزبين..

«في سنة ١٩٧٣ اجتمعت بعدد من اليساريين وفكرنا في أمر التحرك السياسي على الساحة الايرانية، وبعد بحث طويل استقر رأينا على انتهاج طريق النضال الذي كان يعلنه حزب توده آنذاك من اذاعة «بيك ايران» ثم بدأنا بالدعوة لصالح حزب توده الى جانب سعينا للاتصال بالقيادة في الخارج. وهذا التنظيم عرف فيما بعد باسم منظمة «نويد».

كان هذا التنظيم قبل انتصار الثورة الاسلامية يصدر صحيفة «نويد» وكان له اتصال قليل بقيادة حزب توده.

بعد انتصار الثورة الاسلامية قررت قيادة حزب توده ــ بأمر من الاتحاد السوفيتي ــ أن يبقى هذا التنظيم سريا على الرغم من علنية الحزب، وقال القياديون لنا كذبا إن هذا القرار اتخذ في المؤتمر السادس عشر للجنة المركزية وبرروا قرارهم بأن مستقبل الثورة مجهول، ولابد من وجود قوة سرية تواصل النضال إذا سقطت الثورة!!

نهض التنظيم السري بعد انتصار الثورة بكل الاعمال غير القانونية التي كلفه بها الحزب وهي:

(١) ـ صيانة الارتباطات السرية، والاحتفاظ بمطبعة سرية، تستطيع مواصلة نشاطات الحزب السرية.

(٢) ـ كسب المعلومات والحصول على الوثائق السرية التي يحتاجها الحزب وأسياده السوفيت.

(٣) ـ التغلغل في المؤسسات الرسمية والثورية والمجموعات السياسية لكسب الاخبار وتنفيذ خط الحزب فيها.

(٤) ـ إخفاء الاسلحة وخزنها.

(٥) ـ توفير الامكانات لتهريب الافراد من ايران وخاصة للقياديين عند احتدام الخطر.

(٦) ـ حفظ الوثائق الحزبية، ووسائل تزوير الوثائق الرسمية.

(٧) ـ توفير بيوت لاختفاء أعضاء القيادة في الظروف الاضطرارية».

مهدي كيهان

تحدث مهدي كيهان عن تاريخ خيانات الحزب وعن أعماله التجسسية الناتجة عن طبيعة ارتباطه بالاجنبي ثم أشار الى التنظيم السري لحزب توده وقال:

«الهدف النهائي لحزب توده هو نفس هدف الاحزاب الشيوعية في العالم، و يتلخص في تسلم السلطة، وإقامة المجتمع الاشتراكي وفق نموذج الاتحاد السوفيتي وفي ظل قيادة الاتحاد السوفيتي و بالتالي تبديل إيران الى أحد الاقمار السوفيتية».

يتضح من قرارات المؤتمر السادس عشر لحزب توده الذي عقد في الخارج بعيد انتصار الثورة الاسلامية، أن الحزب اتخذ من الدفاع عن خط الامام والجمهورية الاسلامية تكتيكا للتقرب من عملية تسلم السلطة.

قيادة الحزب كانت تشيع منذ البداية أن الثورة أمامها طريقان لا ثالث لهما .

الطريق الاول: هو التقرب من دول المعسكر الاشتراكي وخاصة الاتحاد السوفيتي والارتباط به عالميا والاتحاد مع حزب توده داخليا.

والطريق الثاني: هو الاتجاه نحو الرأسمالية و بالتالي الارتباط بالامبريالية العالمية وسقوط الثورة وعودة الاوضاع السابقة.

من هذا يتضح أن الحزب لم يكن يؤمن إطلاقا بوجود طريق ثالث يقوم على أساس القيم والآمال الوطنية والدينية للشعب الايراني. أي إنه كان يرفض في الحقيقة الشعار الاساس للثورة والشعب وهو شعار: لاشرقية، لاغربية، جمهورية اسلامية».

ثم وجه مهدي كيهان نداءً مسهباً الى أنصار حزب توده جاء فيه:

«لم نفهم مجتمعنا، ولم نفهم ثقافتنا الاسلامية الغنية. لهثنا وراء المستوردات الفكرية الاجنبية دونما تفكير. تركنا ما عندنا لنستجدي ما عند الاجانب، وأهم من ذلك أنّا اخترنا طريقا دون أن تكون لنا معرفة بماهية قادته وسوابقهم، وسمحنا لهؤلاء القادة العملاء ان يستنزفوا كل طاقاتنا وقوانا على

طريق خدمة أسيادهم. بينما لم يكن هؤلاء القادة يعترفون بأصالة أنفسهم، بل لم يكونوا يقيمون وزنا لاعضاء حزبهم ولوطنهم ولشعبهم ولهذا سقطنا في هذه المأساة الكبرى، تعالوا إذن نفكر تفكيرا مستقلا حراً، ونتعلم الدروس من الماضي».

كيانوري أيضا

مع أن كيانوري كان قد أدلى باعترافاته بشأن جاسوسية حزب توده لكن «عموئي» مدير الطاولة المستديرة لم يترك فرصة الحديث عن خيانات حزب توده الجاسوسية تمر دون أن يشرك السكرتير الاول للحزب في هذا الحديث أيضا فقال كيانوري:

«ماقيل بشأن النشاطات التجسسية لحزب توده هو حقيقة مشهودة منذ بدء الحركة الشيوعية في إيران سواء قبل تشكيل حزب توده حين كان الحزب الشيوعي الايراني يتمثل في مجموعة الثلاثة والخمسين (مرت الاشارة الى هذه المجموعة) أو بعد تشكيل حزب توده.

كان التجسس على امتداد تاريخ الحركة الشيوعية الايرانية يتخذ شكلين:

الاول: التجسس على جهاز التنظيم الداخلي. وهذا اللون من التجسس أساء الى الحزب وأضر به كثيرا وعلى سبيل المثال، حين تلاشىٰ الحزب الشيوعي الايراني عام ١٩٤١، وفرّ قادته الى الاتحاد السوفيتي، واجه هؤلاء القادة تصفية دموية فظيعة شملتهم خلال الحكم الستاليني و بعد انتهاء حكم ستالين تلقّينا رسالة تبرئ ساحة أولئك القادة المعدومين وتأسف على إعدامهم! وكانت هذه التصفية الدموية إحدى نتائج هذه التقارير التجسسية الداخلية التي كانت ترفع الى المسؤولين السوفيت مباشرة.

واللون الثاني من التجسس في حزب توده هو تقديم المعلومات والوثائق الى الاتحاد السوفيتي وهذه العملية كانت موجودة لدى الحزب دائما،و بعد انتصار الثورة الاسلامية وعودتنا الى إيران بدأ المسؤولون السوفيت يطالبوننا بالمعلومات التي يريدونها ونحن انطلاقا من تبعيتنا المطلقة، كنا نجتد الحز بيين للحصول على هذه الوثائق والمعلومات كي نسلمها الي السوفيت.

وكما ذكر فاننا دفعنا افضل الكفاءات الانسانية والثورية لجيل من الحزب الى مستنقع الرذيلة والفساد، لقد ارتكبنا خيانة كبرى بحق الشعب الايراني بسبب الطريق المنحرف الذي سلكناه، الطريق الذي لايتلاءم مع مصالح الشعب على الاطلاق».

محمد بور هرمزان

«لم يبق لي أمام التوضيحات التفصيلية التي أدلى بها المشاركون قبلي حديث أقوله، لكني سأحاول أن أتحدث عن السياسة السوفيتية بشأن حركات التحرر في العالم.

السياسة المصلحية لاالمبدئية

طالما ادعى الاتحاد السوفيتي بأنه نصير حركات التحرر العالمية ولكن الحقيقة الكامنة وراء هذا الادعاء هي أن الاتحاد السوفيتي لايساعد حركة تحررية إلابعد أن يصيِّرها ألعوبة بيده، و بعد أن يطمئن الى أن هذه الحركة تسعى الى قلب نظام الحكم ليكون بلدها واحدا من الأقمار السوفيتية أي إن مساعدات السوفيت تتجه الى مصادرة الأهداف التي تسعى من أجلها حركات التحرر.

لو ألقينا نظرة على مواقف الاتحاد السوفيتي من حركات التحرر في بلدنا خلال الاعوام الستين الماضية لوجدناها بعيدة كل البعد عن الاسناد الحقيقي، بل طالما اقتضت السياسة السوفيتية طعن الحركة من الخلف».

ثم ذكر «بور هرمزان» نماذج من مواقف الاتحاد السوفيتي من حركات التحرر في إيران خلال فترة حكومة رضا خان «والد الشاه الاخير المقبور» مثل: موقفه الخياني من الحركة الدينية المعارضة للعميل البريطاني رضا خان وتأييده لهذا العميل طمعاً في إبرام معاهدة ١٩٣١، وخيانة الاتحاد السوفيتي لحركة الغابة وتعريض أفرادها للابادة بعد أن وعدته الحكومة الايرانية آنذاك بالتوقيع على المعاهدة المذكورة ثم قال:

«بعد سقوط رضاخان استمرت سياسة السوفيت تجاه حركة التحرر في

إيران على نفس الطريقة. وذكر الاصدقاء هنا نماذج لذلك مثل مسألة نفط الشمال وحكومة قوام وفرقة الديمقراطيين وحركة تأميم النفط وإصلاحات الشاه.

في كل هذه المواضع نرى الاتحاد السوفيتي لايأبه إطلاقا بآمال التحرك الوطني ولابمصالح الشعب الايراني،بل يسعى فقط لتحقيق مصالحه، وعلى هذا الطريق استخدم حزب توده كآلة لتحقيق أهدافه وحزب توده كان تابعاً أعمى لهذه السياسة المتناقضة وكان ذلك سببا لعزله عن ساحة النضال.

و بعد الثورة استمرت سياسة الاتحاد السوفيتي في توجيه الضربات لحركة التحرر في إيران. وموقفه من الحرب المفروضة على الجمهورية الاسلامية مظهر واحد لهذه السياسة. فالسوفيت كانوا على علم بأن صداماً اعتدى على إيران بالاتفاق مع أميركا و بالاتفاق مع بختيار بشأن فصل خوزستان ولكنه، بعد الحرب، بدل قطع إرسال الاسلحة الى العراق زاد من ميزان تصدير أسلحته الى صدام بل زوده بأسلحة أكثر تطوراً.

الاتحاد السوفيتي يرفع اليوم عقيرته مع كل أسياد صدام مطالبا بوقف الحرب واحلال السلام، و يقف ساكتا أمام القصف الوحشي الذي تتعرض له المدن الايرانية الآمنة. ماذا يعني إسناد الاتحاد السوفيتي لنظام صدام المدعوم من قبل أميركا؟! ألايعني أن الاتحاد السوفيتي لايفكر الابمصالحه؟! ألايعني أنه يطعن من الخلف كل حركة تحررية تريد أن تعيش مستقلة عن الارتباط بالشرق والغرب؟!

وفي أفغانستان نرى الاحتلال السوفيتي لارض افغانستان بحجة الدفاع عن حرية الشعب الافغاني واستقلاله. بهذه الحجة يقمع جماهير الشعب الافغاني ويحتل مساحات واسعة من أراضيه.

وفي الشرق الاوسط نرى الاتحاد السوفيتي لايحرك ساكنا تجاه الهجوم الاميركي الصهيوني على حركات التحرر الفلسطينية اللبنانية وتجاه السيطرة الاميركية المطلقة على المنطقة.

موقف الاتحاد السوفيتي حتى من عملائه-كحزب توده - مصلحي صرف لايفكر حتى بمصالح العملاء. لقد دفع الاتحاد السوفيتي حزب توده مدة أربعين عاما الى هاوية التجسس دون أن يفكر في العاقبة التي سيتعرض لها أفراد الحزب

جراء هذه الخيانة.

إننا اليوم نرى الفرق الشاسع بيننا و بين أمة حزب الله في إيران. الأمة تحركت على طريق استقلالها الواقعي ونحن تحركنا على طريق العمالة للسوفيت. الأمة اعتمدت على نفسها ونحن اعتمدنا على الاجانب، الأمة خلقت قيما جديدة ونحن تحركنا ضد كل القيم.

الامة أوجدت على الساحة العالمية إيران الاسلامية التي أصبحت قدرة تحسب لها كل القوى الكبرى ألف حساب. الامة في إيران أثبتت أن الشعب قادر بقوة إيمانه و بقبضاته الخالية أن يقف بوجه أعتى قوة، ونحن أمام هذا الايمان الشامخ للامة كنا نشكك في إمكان الثورة بدون دعم خارجي.

بعد أربعين عاما من العمل نخرج اليوم من الساحة مطرودين صاغرين ممقوتين وهذه عبرة لكل الاجيال القادمة».

اعترافات الطاولة المستديرة

الحلقة الثالثة ـ مواقف حزب توده من الثورة الاسلامية [٩٠]

في هذه الحلقة تحدث المشاركون عن خيانات حزب توده في الجمهورية الاسلامية والمواقف المتناقضة المنافقة لهذا الحزب تجاه قضايا الثورة الاسلامية وعن المظاهر التكتيكية والاهداف الاستراتيجية للحزب خلال فترة نشاطاته العلنية بعد انتصار الثورة الاسلامية.

أحاديث المشاركين في هذه الحلقة جمع وتبويب لما قالوه في اعترافاتهم السابقة ولذلك نعرض عن ذكر أكثرها ونكتفي بالعرض التالي:

عباس حجري

تحدث عن الاخطاء القانونية التي ارتكبها حزب توده في الجمهورية الاسلامية، وعن بداهة حل وحظر أي حزب يرتكب مثل هذه الاخطاء، ثم أشار الى أن تاريخ الحزب مليء بالانحرافات الناتجة عن أيديولوجيته الغريبة على أرضية هذا الوطن وعن انتمائه وعمالته للاجانب ثم قال:

«كل هذه الجرائم ارتكبناها بحق شعب مستضعف متأهب دائما لتلبية نداء إمامه وحاضر دائما على ساحة الكفاح، و يتحمل كل ألوان الصعاب من

أجل الثورة.

حين أفكر في هذه الجماهير أحس بخجل عميق. لم أكن أتصور يوما بأني أحمل تجاه الجماهير مثل هذا الاحساس بالخجل بعد أن قضيت ٢٥ عاما من عمري في سجون الشاه دفاعاً عن العدالة الاجتماعية».

منوجهر بهزادي

«الهدف النهائي الاساس للحزب بعد انتصار الثورة الاسلامية العظيمة واقامة الجمهورية الاسلامية الايرانية هو الاطاحة بنظام الجمهورية الاسلامية، وتسلم السلطة وإقامة حكومة مرتبطة بالاتحاد السوفيتي.

ومن أجل تحقيق هذا المقصد التزم الحزب بأهداف تكتيكية واستراتيجية، ومراحل آنية قريبة المدى، ومراحل بعيدة المدى وسياسة ظاهرية و باطنية.

قبل أن أذكر هذه الاهداف والمراحل لابد من الاشارة الى مايلي:ـ

١ ـ كان الحزب واثقا من سقوط كل محاولة انقلابية خلال حياة الامام و هذا مادلت عليه تجربة المنافقين وسائر المجموعات الصغيرة المعارضة.

٢ ـ بين الاهداف التكتيكية القصيرة المدى والاهداف الاستراتيجية البعيدة المدى تداخل وارتباط، والفصل بينها غرضه التوضيح والتبيين.

٣ ـ ذكر المشاركون في هذه الطاولة أمثلة كثيرة على هذه الاهداف ولاحاجة الى تكرارها.

الاهداف التكتيكية للحزب

١ ـ السعى لكسب المشروعية لنشاطه العلني من أجل النفوذ في الاجهزة ومراكز الاعلام.

٢ ـ الدفاع الظاهري عن خط الامام بالتعبير الخاص الذي وضعه الحزب لخط الامام، من أجل الحصول على المشروعية والشعبية.

٣ ـ السعي للتأكيد على وجود نقاط مشتركة بين الاسلام والشيوعية.

٤ ــ محاولة التغطية على جرائم الحزب السابقة مثل موقفه من مسألة آذر بايجان ومسألة مصدق.

الاهداف الستراتيجية للحزب

١ ــ السعي لايجاد تنظيمات حزبية في جميع أنحاء البلاد لتجميع الطاقات.

٢ ــ محاولة إيجاد تنظيمات جماهيرية وواجهات حزبية مثل الاتحادات العمالية والفلاحية، وتنظيمات الشبيبة، والتلاميذ، والطلبة، وتنظيمات الاقليات، أوالنفوذ في التنظيمات الجماهيرية الموجودة مثل المجالس والتعاونيات وأمثالها.

٣ ــ صيانة التنظيم الداخلي وتوسيع نطاقه.

٤ ــ التأكيد على حفظ العناصر النافذة من الحزب في الاجهزة الحكومية الحساسة.

٥ ــ إقامة وتوسيع التنظيم العسكري.

٦ ــ السعي من أجل إضعاف علماء الدين وحكومة الجمهورية الاسلامية عن طريق تهو يل الاختلافات.

٧ ــ محاولة تضعيف موقف الجمهورية الاسلامية من الحزب، والتركيز على مسألة إنهاء الحرب.

٨ ــ طرح المسائل الاقتصادية وتهو يل المشاكل الناتجة عن الحرب والثورة.

٩ ــ الدفاع عن سياسة الاتحاد السوفيتي بشأن إيران والعالم.

وهنا لابد أن أذكر أنّ كل الاهداف التكتيكية والستراتيجية التي اختطها الحزب خاطئة تماما لأنها كانت قائمة على عدم فهم طبيعة الثورة الاسلامية، وعدم فهم عمق نفوذ الاسلام في أعماق الجماهير الايرانية، وعدم فهم الدور الحاسم للامام الخميني.

فالتفكير بالانقلاب بعد الامام مثلا، خاطئ للغاية، لان الجيش الايراني يتشكل من أفراد مسلمين أوفياء للثورة الاسلامية وقد شاهدنا نماذج رائعة من هذا

الوفاء في جبهات القتال. وحرس الثورة قوة عسكرية منبثقة من قلب الجماهير وله كفاءة عالية اكتسبها من حربه ضدالعناصر المعادية للثورة، وهويشكل بأسلحته اليوم جيشا عقائدياً مستقلا. هذا إضافة الىٰ قوات التعبئة التي تدافع اليوم في الصفوف الأمامية والخلفية عن الثورة ومكتسباتها، والجماهير التي استطاعت بقبضاتها الخالية أن تطيح بعرش الشاه المسنود من أميركا».

فرج الله ميزاني

أعضاء قيادة حزب توده اعتقلوا على وجبتين الاولى في ١٧ بهمن ٦١ (٦ شباط ١٩٨٣) والثانية في ٦ اردیبهشت ٦٢ (٢٦ ــ نيسان ١٩٨٣) وفي الفترة بين التاريخين المذكورين كانت بقايا قيادة حزب توده خارج المعتقل تصدر البيانات والتحليلات السياسية، وكان بين أولئك القياديين فرج الله ميزاني الذي طلب منه مدير الطاولة المستديرة أن يتحدث عن تلك البيانات والتحليلات فقال:

«أول ردّ فعل لنا بعد اعتقال الوجبة الاولى هو إصدار بيان نفينا فيه كل الاتهامات التي وجهت الى الحزب على لسان المدعي العام للثورة وأكدنا عدم صحة أية واحدة من هذه التهم.

كنا نعلم طبعا بوجود هذه الجرائم داخل حزبنا، لكننا سارعنا للانكار والتكذيب لاسباب أهمها:

أولا: إن هذه الجرائم كانت سرية لايعلم بها إلاّعدد قليل جدا.

ثانياً: كنا نعتقد أن المعتقلين سوف ينفون في المعتقلات كل هذه التهم ولابد لنا ونحن في الخارج أن ننفيها.

ثالثاً: المحافظة على معنويات أعضاء الحزب الذين لم يكن لهم أي اطلاع على هذه الجرائم.

ثم بعد ذلك خطر في أذهاننا أن الادعاء العام قد يبرز للجماهير بعض الوثائق والمستندات التي حصل عليها من أجل إثبات جرائمنا. لذلك رحنا نشيع أن وكالات الاستخبارات الاستعمارية والصهيونية تعمل الآن على تزوير وثائق

ومستندات لإدانة حزب توده، وطفقنا نصب اللعن على الأنتلجنت سرفيس والموساد والسي ــ آي ــ أي.

ثم ساورتنا شكوك بامكان ظهور بعض قادة توده للاعتراف بالجرائم، ولذلك عبأنا إعلامنا لاشاعة التعذيب الذي يتلقاه قياديو توده في السجون، والتحقيق الذي يجري معهم على أيدي خبراء وكالات الاستخبارات الامبريالية والصهيونية!!

أما بشأن تحليلا تنا السياسية فقد ركزنا على أن الهجوم على حزب توده إنما هو هجوم على الثورة. ورحنا نردد أن المسألة ليست هي مسألة حزب توده بل هي مسألة الثورة التي تتعرض لخطر الانحراف والسقوط في أحضان الامبريالية!!

التحليل الاخير، وإن كان يستهدف إقناع الجماهير واعضاء الحزب الا انه ينطلق بالدرجة الاولى من قناعاتنا نحن.

لقد كنا بسبب تربيتنا الفكرية والحزبية مقتنعين تماما بأن هناك طريقاً واحداً لاغير لمحاربة أميركا هو الاعتماد على الاتحاد السوفيتي، وأن الاصطدام بالاتحاد السوفيتي يعني التقرب من أمريكا لامحالة، ولذلك كنا نفهم الضربة التي وجهت الى حزب توده على أنها تقربٌ من أمريكا.

حين دخلت السجن كنت أتابع باستمرار مواقف الجمهورية الاسلامية ظنا مني أنها ستتجه نحو اليمين، ولكني لم أجد شيئا من ذلك، فلا تزال مواقف الجمهورية الاسلامية من الغرب صلبة لا تلين، ولايزال اتجاه الجمهورية الاسلامية على الصعيد الداخلي خاصا بها، لانحو الاشتراكية ولانحو الرأسمالية.

لقد كانت كل تحليلا تنا ناتجة عن إفرازاتنا الذهنية وعن القوالب الفكرية التي تؤطر عقولنا».

ثم تحدث ميزاني عن الحقائق التي كان حزب توده يخفيها في بياناته واعلاناته مثل حقيقة مساعدة السوفيت لصدام، ووجه نداءً الى كل المخدوعين بشعارات اليسار أن يتحرروا من قوالبهم الفكرية، وأن يعودوا الى أحضان الامة.

مهدي كيهان

الاذاعات الموجهة ضد الجمهورية الاسلامية كثيرة، ولعل أية ظاهرة في التاريخ لم يحشد لها إعلام مضاد ــ وخاصة على الصعيد الاذاعي ــ مثلما حشد للثورة الاسلامية. هذه الاذاعات المعادية تنطلق من بلدان الشرق والغرب، ومن أرض عملاء الشرق والغرب، تصب السباب والشتائم وتلفق التهم ضد الاسلام والصحوة الاسلامية والثورة الاسلامية، وعلى مسيرتها المستقلة عن الشرق والغرب. وقديما قال الشاعر.

«وإذا أتتك مذمّتي من ناقِصٍ فهي الشهادة لي بأني كامل».

من الاذاعات الشرقية التي وجهت أبواقها للنيل من الثورة الاسلامية «الاذاعة الوطنية الايرانية»!! ومهدي كيهان عمل في هذه الاذاعة سنين طويلة قبل انتصار الثورة الاسلامية. فطُلب منه أن يتحدث عن ماهية هذه الاذاعة فقال:

«كنت مدة إقامتي في الاتحاد السوفيتي خلال الاعوام من ١٩٦٠ ــ ١٩٧٢ معلّقاً ومذيعا في هذه الاذاعة. هذة الاذاعة ــ التي تحمل اسم الوطنية الايرانية ــ بعيدة كل البعد عن هذه التسمية. لأنها جزء من إذاعة موسكو وتحت إشراف مسؤولي الاعلام السوفيت، وموجهة لتحقيق الاهداف التوسعية المصلحية للاتحاد السوفيتي.

هذه الاذاعة بدأت عملها عام ١٩٥٨ حين عقدت اتفاقية عسكرية بين أميركا وإيران حصلت أميركا بموجبها امتياز إقامة أكبر قاعدة تجسسية ضد الاتحاد السوفيتي في شمال إيران. إضافة إلى قواعد عسكرية نصبت فيها صواريخ موجهة ضد السوفيت.[٩١]

من الطبيعي أن يكون اتجاه الاذاعة آنذاك معاديا لنظام الشاه، ولكن لم يدم هذا الموقف طويلا، فقد تبدل منذ أوائل سنة ١٩٦١ حين تحسنت العلاقات بين نظام الشاه والاتحاد السوفيتي، وعقدت اتفاقية مصنع صهر الحديد وصناعة

السيارات ومدّ أنابيب الغاز بين البلدين.

بدأت أحاديث الاذاعة تتجه الى التمجيد الضمني باصلاحات الشاه، والى وصف حركة الشعب الايراني المسلم بقيادة الامام الخميني عام ١٩٦٣ بأنها رجعية»[٩٢]

ثم تحدث مهدي كيهان عن التناقضات الواضحة في موقف هذه الاذاعة من الحرب البعثية العراقية المفروضة على الجمهورية الاسلامية، ومن الغزو السوفيتي لافغانستان ثم قال:

لقد اتضحت في الآونة الاخيرة ماهية هذه الاذاعة حين بدأت تتهجم على الجمهورية الاسلامية بعد افتضاح أمر حزب توده.

هذه الاذاعة كانت تكيل المدح والثناء للجمهورية الاسلامية، وتصف الثورة بأنها ثورة عظيمة منقذة لجماهير الشعب الايراني من الاستعمار والغزو الامبريالي، أما الآن و بعدأن واجه حزب توده مصيره المحتوم فقد غيرت الاذاعة موقفها و بدأت ترفع صوت المعارضة للجمهورية الاسلامية.

هذه الاذاعة بدل أن تسكت على الاقل أمام الفضائح المخزية، التي ارتكبها حزب توده راحت تتهجم على اعتقال قادة الحزب، وتنشر الاباطيل والاكاذيب بشأن طريقة التحقيق مع أعضاء قيادة الحزب.

لقد أدركنا ــ نحن في السجن ــ جميع الحقائق بعد أن بدت أمامنا حقيقة الجمهورية الاسلامية واضحة جلية. إن ممارسات المحققين و مسؤولي السجن معنا ليست من نوع حقن التخدير ــ كما تدعي الاذاعة المذكورة ذلك ــ بل إنها من نوع تنبيه الغافلين وايقاظ النيام. لقد فهمنا خلال الفترة القصيرة من اعتقالنا مالم نفهمه طول حياتنا.

آمنا بأن الطريق الوحيد لانقاذ الامة ينطلق من الاعتماد على الذات لا على الاجانب، ومن الاستناد الى قيمنا الدينية والوطنية، لا الى القوالب الفكرية المستوردة».

حسين جودت

الماركسي العجوز حسين جودت تحدث قائلاً:

«طلبت من الاخوة المسؤولين أن يتيحوا لي فرصة أتحدث فيها عن الموضوعات التالية:

١ ــ السياسة التوسعية التسلطية للاتحاد السوفيتي والاحزاب الشيوعية في البلدان النامية عامة و بلد نا خاصة.

٢ ــ سبل الشيوعية في تحقيق هذه الاهداف.

٣ ــ سبب معارضة الحزب الشيوعي السوفيتي للثورة الاسلامية.

٤ ــ الاختلافات الداخلية في الاحزاب الشيوعية.

هذه الموضوعات تحتاج الى دراسات مفصلة واستدلالات كثيرة، آمل أن تتاح لي فرصة مستقلة لشرحها».

ثم شكر جودت كل القائمين على أمور السجن لعنايتهم الفائقة بصحته وسهرهم على راحته.

كلمة الختام لعموئي

عموئي لخص ماقاله أصحابه في هذه الطاولة المستديرة، ووجه نداءً الى كل المفتونين بالشعارات اليسارية وقال:

«أعلن بصراحة أن الماركسية في المجتمع الايراني غريبة على المعتقدات والتقاليد والقيم والرسالة الاسلامية. وكل الدلائل تشير الى أن الماركسية في المجتمع الايرانى وأمام الاسلام قد وصلت الى طريق مسدود».

الهوامش:

١ ــ تاريخ سى ساله ايران، بيجن جزفي ص٨.

٢ ــ أخطأ كاتب «الموسوعة السياسية» الصادرة عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، حيث وصف سليمان ميرزا الاسكندري الذي كان من أهم مؤسسي حزب توده بأنه من «المسلمين المتديّنين»! راجع مادة (الحزب الشيوعي الايراني).

٣ ــ تاريخ سى ساله، ص ٩.

٤ ــ ميراث خوار استعمار، مهدى بهار، ص ٣٢٦.

٥ ــ تاريخ سياسى معاصر ايران، ج ١، سيدجلال الدين مدني، ص ١٥، ١٦.

٦ ــ نفس المصدر، ص ٢١.

٧ ــ ولعلّه من مؤسسي هذه الجمعية في ايران. ويذكر ان مركز هذه الجمعية في اسلامبول حيث تأسّست على أيدي بعض الاسلاميين أمثال سيد جمال الدين الأفغاني وعبدالرحمن الكواكبي ومحمد عبده، بهدف توحيد المسلمين تحت راية الاسلام (راجع: تاريخ سياسى معاصر ايران، مدني، ص ٨٣، الهامش ٣).

٨ ــ راجع: سردار جنگل، ابراهيم ميرفخرائي.

٩ ــ تظاهر رضاخان في بداية أمره بأنه معارض لبريطانيا، فقد أخرج (سيد ضياءالدين) عميل بريطانيا المعروف من الوزارة، لكنه بدأ بعد ذلك يعترف بعمالته لبريطانيا صراحة (راجع كتاب، سياست موازنة منفي، ج ١، ص ٣٤). والشاه المقبور اعترف بأن اختلاف والده مع سيدضياء لم يكن سياسيا بل شخصيا (كتاب: مأموريت براى وطنم، ص ٥٥).

١٠ ــ مجلة الشرق الجديد، المجلد الرابع، ص ٢١٨. نقلا عن گذشته چراغ راه آينده ص ٥١.

١١ ــ نقلا عن المصدر السابق، نفس الصفحة.

١٢ ــ يذكر كتاب (گذشته چراغ راه آينده) ان الموقف السوفيتي المذكور كان له الأثر الكبير في تمزيق واضمحلال (القوى التقدمية الداخلية) على حد تعبير الكتاب، ص ٥٤.

١٣ ــ حفيد حاج مؤمن أصفهاني من يهود بغداد، قدم الى أصفهان للتجارة واستقرّ فيها، وفروغي من مؤسسي الماسونية في ايران (تاريخ رجال ايران، مهدى بامداد، ج ٣، ص ٤٥٠).

١٤ ــ گذشته چراغ راه آينده، ط جامى، ص ١٤٣. وكُتّابُ هذا الكتاب شيوعيون يذكرون فيه كثيراً من الحقائق ويخفون كثيراً منها أيضا، فيخفون مثلا سبب عدم اشتراك شيوعيين معروفين مثل (پيشه وري) في قيادة حزب توده، ويعربون عن استغرابهم لذلك وسنبيّن سبب ذلك.

١٥ ــ تأريخ سياسى معاصر ايران، د. مدني، ص ١٥٣، الهامش ٣.

١٦ ــ نشرة رهبر، العدد ٤٠٣، ١٩٤٤ نقلا عن كراس: «آيا كمونيستها در نهضت نقشى داشته اند؟ ص ٣٣».

١٧ ــ صحيفة (مردم) للمثقفين، عدد تشرين الثاني، ص ١٩٤٤ نقلا عن الكراس المذكور.

١٨ ــ نقلا عن «گذشته چراغ راه آينده» ص ١٩٩ ــ ٢٠٠.

١٩ ــ پل پيروزى، خرمى، ص ٨٨.

٢٠ ــ كتاب سياه يا حكومت خانواده ها، أبوالفضل قاسمي، ج ٣، ص ١٤١.

٢١ ــ تأريخ نسياسى معاصر، ج ١، مدني، ص ١٦١.

٢٢ ــ نگرشى كوتاه بر نهضت ملى ايران، ص ٢٧.

٢٣ ــ نشرة (بسوى آينده) العدد ١٢١، ١٩٥٠، نقلا عن (آيا كمونيستها در نهضت نقشى داشته اند).

٢٤ ــ صحيفة مردم، العدد ٣٧، تموز ١٩٥٠، نقلا عن المصدر السابق.

٢٥ ــ صحيفة (بسوى آينده)، العدد ٤٥١ عام ١٩٥١ نقلاً عن المصدر السابق.

٢٦ ــ نشرة الجبهة الوطنية، العدد ٢٢، عام ١٩٥٢.

٢٧ ــ مصدق و نهضت ملى ايران، ص ١٠٧.

٢٨ ــ راجع كتاب: روحانيت و نهضت ملى شدن صنعت نفت.

٢٩ ــ وهذا ما كانت تسعى اليه بريطانيا أيضاً التي حاولت مرارا اقناع أميركا بضرورة اسقاط حكومة مصدق قبل أن يسيطر الشيوعيون على السلطة.

٣٠ ــ نگرشى كوتاه بر نهضت ملى ايران ص ٧١ ــ ٧٣.

٣١ ــ كرومييت روزفلت المعروف باسم (كيم) نجل شقيق تيودور روزفلت الرئيس الأميركي الأسبق. ومن أعضاء وكالة الاستخبارات الأميركية. كان من أهم العناصر الأميركية التي اشتركت في اسقاط حكومة مصدق وهوالذي اعترف فيما بعد صراحة، ان انقلاب ١٩ آب في ايران كان أول عملية خارجية ضخمة نهضت بها وكالة الاستخبارات الأميركية.

كتاب: مصدق، نفت، كودتا، محمود تفضلى ص ١٥٦.

٣٢ ــ رجل معروف بقسوته و بطشه، أصبح عام ١٩٥٧ أول رئيس للساواك ، ثم اختلف مع الشاه، وفرّ الى لبنان ثم العراق حيث اغتيل.

٣٣ ــ لم أستهدف استعراض الأحداث التي وقعت بعد انقلاب ١٩ آب بل أشرت الى بعضها، راميا توضيح الوضع الذي آلت اليه البلاد لأنتقل الى ممارسات حزب توده في هذا الوضع.

٣٤ ــ بيان البلنوم الرابع الموسّع لحزب توده، عام ١٩٥٧.

٣٥ ــ لكن طريقة الاعترافات الأخيرة تغيّرت وأصبحت أقرب الى الواقع كما سنرى.

٣٦ ــ در بارهٔ ٢٨ مرداد، نشرة اللجنة المركزية لحزب توده، ١٩٥٣، ص ١١ و ١٢.

٣٧ ــ المصدر السابق ص ١٦.

٣٨ ــ القطاع العسكري لحزب توده اتّسع خلال الأعوام (٥٠ ــ ٥٣) اتّساعا واسعا مثل سائر قطاعات حزب توده. و وقف بوجه السلطة علناً في أحداث آذر بايجان. و بعد سقوط الشيوعيين في آذر بايجان، لجأ قسم من أفراده الى الاتحاد السوفيتي وقسم منهم الى العراق حيث تمّ تسليمهم الى ايران (تاريخ سى ساله، بيجن جزني، ج ٣ ص ٩).

٣٩ ــ قارن بين عوامل انهزام قيادة حزب توده بعد انقلاب (١٩٥٣) وبين عوامل انهزامها النهائي الأخير (١٩٨٣).

٤٠ ــ گذشته چراغ راه آينده، ص ٦٣٩.

٤١ ــ المصدر السابق، ص ٦٤٧.

٤٢ ــ نفس المصدر، ص ٦٤٤، قارن بين هذا الاعتراف واعترافات (كيانوري) الأخيرة.

٤٣ ــ في السقوط الأخير لحزب توده أمام الدولة الاسلامية حدث العكس، اذ وقعت القيادة الخائنة في الفخ، أما سائر الأعضاء الأبرياء فتمّ الافراج عنهم فورا بعد أن سلموا أنفسهم الى السلطات المسؤولة.

٤٤ ــ هذا العرض الموجز لحياة خسرو روز به ومشاعره وأفكاره مستلّ من دفاعه أمام المحكمة حيث بيّن فيه كل العوامل التي دفعته للانتماء الى حزب توده.

٤٥ ــ آخرين دفاع خسرو روز به در دادگاه نظامي، ص ٢٢ وما بعدها.

٤٦ ــ تاريخ سياسى معاصر ايران، ج ١، ص ٢٩٣.

٤٧ ــ نگرشى كوتاه... ص ٧٣.

٤٨ ــ هذه الظاهرة سادت في كثير من بقاع عالمنا الاسلامي، بسبب غياب الشخصية الاسلامية والكيان الاسلامي عن الساحة، لكنها لم تبرز على الاطلاق بعد انهيار حزب توده في ظل الدولة الاسلامية المباركة.

٤٩ ــ تاريخ سياسى معاصر ايران، ج ١، ص ٣٤٤ــ ٣٤٥.

٥٠ ــ نگرشى كوتاه... ص ٩٨.

٥١ ــ مانوئيسم و بازتاب آن در ايران، ص ٩٩، من منشورات حزب توده، عام ١٩٧٤.

٥٢ ــ الكومنترن، الاسم المختصر للاممية الشيوعية أو الاممية الثالثة. تشكّل في موسكو عام ١٩١٩ بهدف جمع الاشتراكيين والشيوعيين لمحاربة الاممية الثانية، وانحلّ عام ١٩٤٣ وخلفه الكومنفورم، أو مكتب اعلام الأحزاب الشيوعية عام ١٩٤٧ في بلغراد، ثم انتقل في السنة التالية الى بخارست.

٥٣ ــ روجيه غارودي، كان حتى عام ١٩٧٠ الدماغ المفكر للحزب الشيوعي الفرنسي، لكنه طرد من الحزب على أثر انتقاده للموقف السوفيتي من تشيكوسلفاكيا. بدأ بحوارمع الأديان من خلال كتابه «ماركسية القرن العشرين»، ثم دافع عن الاسلام في كتابه (من أجل حوارمع الحضارات)، ثم أعلن اسلامه في السنوات الأخيرة.

٥٤ ــ نشرة «رهبر» الناطقة بلسان حزب توده، العدد ٢٨١.

٥٥ ــ نفس النشرة، العدد ٢٥٧.

٥٦ ــ الثقافة الجديدة، السنة ٢٩، العدد ٣، كانون الثاني ١٩٨٢ مقال: نظرة على الاسلام والحركات الاسلامية في عالم اليوم. بقلم أ ــ فاسيليف.

٥٧ ــ نفس المصدر السابق.

٥٨ ــ نفس المصدر السابق.

٥٩ ــ الثقافة الجديدة، العدد ١١، ١٢، السنة ٢٨، أيلول ١٩٨١ مقال: ماذا يجري في ايران.

٦٠ ــ نفس المصدر السابق.

٦١ ــ كيانوري، هو حفيد «آية الله فضل الله النوري، شهيد الحركة الدستورية، الذي وقف بوجه

سقوط قوانين ايران في حضيض الحضارة الاوروبية، ونادىٰ بضرورة اتّخاذ الشريعة الاسلامية مصدراً وحيداً للنظام والقانون. فحوكم لذلك بتهمة معاداة الاتجاه نحو الدستورية في الحكم، وحكم عليه بالاعدام. ونفّذ الحكم فيه».

وجدير بالذكر ان ابن الشهيد، وهو والد نورالدين كيانوري، صفّق تحت مشنقة والده، معربا عن ابتهاجه بهذا العمل وعن تأييده التام! (للدستورية).

٦٢ ــ الموسوعة السياسية، مادة (توده).

٦٣ ــ جدير بالذكر أن بعض المواطنين دخلوا المعسكرات أيضا خلال الساعات الاولى لانتصار الثورة، وأخذوا منها كميات من الأسلحة، حملها بوجه أعداء الثورة، لكنهم سرعان ما سلّموها الى المساجد بناءً على نداء الامام الخميني، وبذلك تشكلت اللجان الثورية في المساجد.

٦٤ ــ الثقافة الجديدة، العدد ٢، السنة ٢٩، مقال «الثورة الايرانية: أعداؤها وأصدقاؤها» نورالدين كيانوري.

٦٥ ــ أحد أعضاء الكادر المركزي لمنظمة مجاهدي الشعب الايرانية، كان من أكثر أعضاء المنظمة إصرارا على إقامة علاقات (طيبة) مع الاتحاد السوفيتي. بعد اعتقاله وجّه نداءً الى أعضاء منظمة مجاهدي الشعب حذّرهم فيه من مغبّة الاصطدام بنظام الجمهورية الاسلامية وأدان مواقف منظمته، ثم أُعدم. فأدان حزب توده عملية اعدامه.

٦٦ ــ كانت الوثائق ترتبط فيما يبدو بملف (الجنرال مقربي)، الذي اعتقل في عهد الشاه بتهمة التجسّس لصالح الاتحاد السوفيتي، وحوكم ثم أُعدم بعد أن اعترف بكل علاقاته بالروس.

٦٧ ــ استناداً الى ما قاله السيد مهدوي كني في خطبة صلاة أول جمعة اقيمت بعد اعترافات حزب توده.

٦٨ ــ راجع فلسفتنا، ١٦٩ــ ١٨٧، واقتصادنا، ٩٣ــ ١٠٠ للامام الشهيد السيد محمد باقرالصدر.

٦٩ ــ الأنفال ٣٦ــ٣٧.

٧٠ ــ راجع مقال «في سبيل وحدة القوىٰ الوطنية، الثقافة الجديدة، العدد(١) السنة ٢٩، تشرين الثاني ١٩٨١. ومقال «الثورة الايرانية: أعداؤها وأصدقاؤها» نفس المجلة، العدد ٢ من السنة المذكورة. وكلا المقالين لنور الدين كيانوري.

٧١ ــ في العالم العربي ظهرت مثل هذه المحاولات، حين راح نفريفتش عن المادية الديالكتيكية في الفكر الاسلامي، وزعم أنه عثر عليها في أفكار ابن رشد وابن الطفيل.

٧٢ ــ سيطرت العناصر اليسارية طبعا لمدة يومين، بعد انتصار الثورة الاسلامية على الاذاعة في طهران، لكنها كُنست بسرعة بعد أن اتضحت هويّتها للجماهير المسلمة.

٧٣ ــ نفوذ العناصر المعادية للثورة الاسلامية في الأجهزة الرسمية وغير الرسمية كلّف الثورة كثيراً، فقد أدّى الى انفجار الحزب الجمهوري الاسلامي على يد «كلاهي»، وانفجار مبنى رئاسة الوزراء على يد «كشميري»، وكلاهما من أعضاء منظمة مجاهدي الشعب. غير أن القضاء على هذه العناصر النافذة يعتبر من معاجز الثورة الاسلامية في ايران.

٧٤ ــ من المضحك أن بعض الكتاب راح يفسر ظاهرة انهيار حزب توده، بأنها تقرُّب من الجمهورية الاسلامية نحوالصين!! بعد أن رأى هذا الكاتب استمرار الرفض الاسلامي لاميركا والاتحاد السوفيتي معاً

بعد الانهيار. راجع مقال: «طهران نسفت الجسور مع موسكولتشق الطريق الى بكين»!! الحوادث، العدد ١٣٨٤.

٧٥ ــ من الظواهر المدهشة في الدولة الاسلامية المباركة، نهوض الامة بمسؤوليات كشف جيوب التآمر، وهذه المشاركة الجماهيرية الواسعة جعلت الحكومة قادرة على أن تنهض بمسؤوليات أمنية تعجز عنها الحكومات ذات شبكات المباحث والاستخبارات الواسعة.

٧٦ ــ اعتمدنا في ترجمة هذه الاعترافات على مانشرته صحيفة اطلاعات الصادرة في ١١ أرديبهشت ١٣٦٢ (١ مايو ــ أيار ــ ١٩٨٣)، العدد (١٧٠٠٠).

٧٧ ــ نفس المصدر السابق.

٧٨ ــ سيتحدث كيانوري عن المزيد من خيانات حزبه في مقابلات قادمة.

٧٩ ــ إعتمدنا على مانشرته صحيفة إطلاعات العدد (١٧٠٠٢).

٨٠ ــ «پيك» في الفارسية تعني: القاصد، الرسول، ساعي البريد.

٨١ ــ صحيفة إطلاعات، العدد (١٧٠٠٣).

٨٢ ــ صحيفة كيهان، العدد ١١٩٨١، الصادر في ٢٦ ذي الحجة ١٤٠٣ هـ.

٨٣ ــ مثل هذه المقدمات والتحيات موجودة في مقدمة حديث جميع المعترفين، حذفناها للاختصار.

٨٤ ــ راجع مقدمة «اقتصادنا» للامام الشهيد الصدر، و «الاقتصاد الاسلامي» للدكتور محمد المبارك وسجلت الجمهورية الاسلامية في هذا الحقل انتصارا كبيراً، راجع «جهاد البناء» ضمن سلسة «قضايا الجمهورية الاسلامية» منشورات مؤسسة البعثة. طهران.

٨٥ ــ هذا ما جاء على لسان الدكتور مراد وهبة، وهومن رواد التغرب والمسخ الفكري. ازدادت نشاطاته أخيرا في ظل «مصر كامب ديفيد» لبث الفكر المادي العلماني، وهو الآن يصول و يجول في جامعة عين شمس و يقيم المؤتمرات (الفكرية)، وآخرها مؤتمر «الفيلسوف والشارع» راجع مقاله تحت عنوان (حوار حول العقل العربي) مجلة الشراع، العدد ٨٣، ١٠، تشرين الاول، ١٩٨٣.

٨٦ ــ في هذه الفقرة يشير كيانوري الى نوع من الافتراق بين موقف توده وموقف السوفيت، ومثل هذا الافتراق يتطلبه أحيانا تكتيك السوفيت عند اتخاذ بعض المواقف. ولكن كيانوري يعود عند حديثه عن موقف توده والسوفيت مما يسميه تيار الامام الخميني في الثورة الاسلامية، فيبين العمالة والتبعية التامتين.

٨٧ ــ سبب عدم دعوة (پيشه وري) كان ــ كما ذكرنا ــ حرص حزب توده في بداية تشكيله على قطع علاقته بمن سبقه من الشيوعيين كي لايتحمل تبعات خيانة أسلافه.

٨٨ ــ واضح أن المجتمع الايراني الذي يتحدث عنه شلتوكي هوالمجتمع الايراني المسلم وعامل هذا التضاد هو وجود الاسلام فكراً وثقافة وروحا في إيران وهذه مسألة بيّنة لاتحتاج الى استدلال.

٨٩ ــ عن صحيفة كيهان، العدد (١١٩٨٧)؛ اكتوبر ١٩٨٣.

٩٠ ــ نقلا عن صحيفة كيهان، العدد (١١٩٩٧) ٢٥ اكتوبر ١٩٨٣.

٩١ ــ هذه القواعد التجسسية فُكّك بعضها قبيل انتصار الثورة الاسلامية بأيدي الخبراء الاميركيين قبل فرارهم من إيران، وأتلف الباقي منها بأيدي الجماهير المسلمة، كما ان القواعد العسكرية تستعمل اليوم بالدرجة الاولى لضرب مصالح أميركا وعملائها في المنطقة، وما كان من الاتحاد السوفيتي تجاه هذا الجميل الكبير الذي أسدته الثورة الاسلامية له إلا أن جازاها بدعم حزب توده للاطاحة بالنظام

الاسلامي الثائر.

٩٢ ــ ذكرنا من قبل أن القوى الكبرى شرقيها وغربيها، يتحرك كل منها وفق مصالحه الخاصة، ولكن هذه المصالح تلتقي عند مجابهة الصحوة الاسلامية، ومن هنا فإن الثورة الاسلامية في إيران واجهت منذ انطلاقتها الاولى عداءً اميركياً سوفيتياً مشتركا.

الاعترافات الكاملة لـ (منظر حزب توده المنحل)

فيما يلي نقدم النص الكامل لاعترافات «احسان طبري» منظر حزب توده المنحل، والتي أشار فيها الى:

ـ حياته الحزبية.
ـ التاريخ الأسود للحزب.
ـ الآيديولوجية الماركسية.
ـ الكتب التي أساء فيها الى الاسلام وتاريخه.
ـ تآمر الشرق والغرب على الاسلام.

وجملة أخرى من المسائل التي تثبت خيانات حزب توده وارتباطاته القذرة، وبطلان الادعاءات الماركسية.

* حياتي ودراساتي:

انني المدعو «احسان طبري». ولدت عام ١٩١٦ م، ووالدي هو المرحوم حسين طبري المشهور بـ «فخرالعارفين» حفيد المرحوم الحاج الشيخ محمود المجتهد الطبري.

في عام ١٩٣٤ تعرّفت على مجلة «دنيا» التي كان يصدرها «تقي أراني»، وبعد عام من ذلك تعرّفت على «تقي أراني» نفسه.

في عام ١٩٣٧ م دخلت السجن، وبعد عام ــ أي في عام ١٩٣٨ ــ حوكمت مع مجموعة كانت تسمى مجموعة الـ (٥٣) شخصاً، فسجنت، ثم أُبعدت الى مدينة «أراك».

في عام ١٩٤١ م وبعد سقوط الدكتاتور «رضاخان»[1] شاركت في الاجتماع التأسيسي لحزب توده الذي عقد في بيت «سليمان محسن اسكندري»[2]. ومنذ ذلك التاريخ وحتى لحظة اعتقالي في أوائل عام ١٩٨٣ م كنت قد أمضيت ٤٢ عاماً في الحزب بدرجة عضو.

في الوهلة الأولى أصبحت عضواً في لجنة التفتيش، وبعد المؤتمر الأول للحزب عام ١٩٤٤ م أُنتُخبت لعضوية اللجنة المركزية، وكنت أبذل نشاطاً متواصلاً في الشعبة الإعلامية للحزب. وبعد الإعلان عن عدم شرعية الحزب في عام ١٩٤٨ م خرجت من البلاد وأمضيت (٨) أعوام في الإتحاد السوفيتي و (٢٢) عاما في ألمانيا الديمقراطية.

أول عمل قمت به في الاتحاد السوفيتي هو إعداد برامج أدبية باللغة الفارسية لراديو موسكو، وكنت في نفس الوقت أواصل دراستي الحرة في المدرسة الحزبية العالية. وبعد أن أنهيت دراستي، دخلت أكاديمية العلوم الإجتماعية، فتمكّنت من نيل درجة الترشيح للعلوم الفلسفية. وكنت أدرس على يد البروفسور قسطنطينوف رئيس تحرير دائرة المعارف الفلسفية، والبروفسور روزنتال وهو منطقي مشهور، والبروفسور فرانتسو، والبروفسور دين نيك، والبروفسور يوف جوك، وكانوا جميعاً من الأساتذة المشهورين في الفلسفة.

وخلال اقامتي في المانيا الديمقراطية ــ والتي دامت (٢٢) عاماً ــ واصلت نشاطاتي في حزب توده، وكنت أمارس نشاطات اعلامية تمثلت باصدار الصحف والنشرات. وحصلت على شهادة دكتوراه في الفلسفة من اكاديمية العلوم الاجتماعية.

ومن نشاطاتي هناك؛ إصدار الكتب التالية: «مقالات فلسفية»[٣] و«دراسة حول الرؤى الكونية والحركات الاجتماعية في ايران»[٤] و«ايران خلال القرنين الماضيين»[٥] و«مؤسسة تعليم فكر الثورة»[٦]، إضافة الى الكثير من المقالات التي اعبد طبعها في ايران.

وكنت في المانيا الديمقراطية أدرس على يد البروفسور راين هولس، والبروفسور هايدن. اما نشاطاتي الحزبية فكانت متمثلة بادارة شؤون مجلة «دنيا» وجريدة الشعب «مردم» واصدار كراسات حزبية. كما عملت لفترة من الزمن في راديو «پيك ايران».

في المؤتمر الرابع للّجنة المركزية الذي عقد عام ١٩٥٨ أُنتخبت عضواً للجنة التنفيذية التي تمخضت عن هذا المؤتمر. وكانت اللجنة التنفيذية خلال عشرة أعوام مؤلفة من رادمنش و كامبخش و اسكندري، ثم أُعيد تشكيلها عام ١٩٧١ فأصبحت عضواً فيها.

وخلال (٣٠) عاماً شاركت في المؤتمرات والاجتماعات العالمية للأحزاب الشيوعية كعضو أو رئيس وفد حزب توده. ففي عام ١٩٦٠ م حضرت الاجتماع الذي أُقيم بمناسبة مرور (١٥٠) عاماً على ولادة كارل ماركس، كما حضرت عام ١٩٦٩ م الاجتماع العاشر لجمهورية الصين الشعبية، اضافة الى مؤتمرات الاتحاد السوفيتي والمجر ورومانيا.

في عام ١٩٧٨ م اندلعت الثورة الاسلامية في البلاد، وأطاحت بالنظام البهلوي والسلطة الامبريالية في ايران. ونتيجة لانتصار الثورة، وجد حزب توده الفرصة مناسبة للعودة الى البلاد. وكما في السابق، بدأت أُمارس نشاطات اعلامية، وأدير الشعبة الآيديولوجية، أي التعليم، والتحقيق، والاعلام. ومنذ شهر شباط من عام ١٩٨٣ م وأنا موجود في السجن.

الملف الأسود لحزب توده:

والآن أُريد أن أتحدث بعض الشيء عن (حزب توده) المنحل، وقضاياه الأخيرة، والمتمثلة بالتجسس وتشكيل منظمة سرية، والقناع الذي كان يتستر به.

و هذه الممارسات إنما جاءت للاطاحة بالجمهورية الاسلامية. فحزب توده كان يحاول الظهور بمظهر الصديق والمؤيد للجمهورية الاسلامية، لكنه في الحقيقة كان يدبر المؤامرات. وهذه خيانة كبرى بحق نظام يتمثل أساسه بمجموع الشعب.

انني علمت بمحاكمة أعضاء التنظيم العسكري لحزب توده المنحل، وتعرّفت من خلالها على مدى خيانة هذا الحزب(!).

ان المشاهدين الأعزاء عرفوا من خلال هذه المحاكمة انه في الوقت الذي كانت جماهيرنا الباسلة تحشد كل طاقاتها للتصدي للمعتدين الصداميين وأسيادهم الشرقيين والغربيين، أو حين كانت تدافع عن وطنها الإسلامي بتضحياتها الرائعة والمنقطعة النظير، كان حزب (توده) يسعى للنفوذ في الجيش و يواصل نشاطاته التجسسية. فعلى سبيل المثال كان ــ من خلال «أفضلي» ــ القائد السابق للقوة البحرية ــ يسرق الأسرار العسكرية الخاصة بالشعب الايراني المضحي ويرسلها الى الاتحاد السوفيتي.

ولقد تمَّ الاعلان عن انحلال حزب توده بعد أن اتضحت مخططاته وخياناته. وليس لحزب توده بعد اليوم أي مستقبل، فقد اسودَّ وجهه، ولم يبق منه في تاريخ البلاد سوى ملفه الأسود.

الفكر الماركسي مليء بالخداع والتصورات الواهية:

إنَّ الماركسية كانت تشكل آيديولوجية حزب توده المنحل. وهذه الآيديولوجية أدت الى انعزال الحزب وانزوائه عن المجتمع الاسلامي، كما أدت الى التبعية الفكرية والعملية للاتحاد السوفيتي وسائر الدول الاشتراكية الاخرى. ومثلما أثبت التاريخ فان هذه الآيديولوجية مليئة بالخداع والتصورات الواهية

والأباطيل.

و نشاطات حزب توده كلها تحكي عن المناورات السياسية والمغامرات والتآمر، وهذه الميزات كانت لها مبررات ماركسية. ولهذا فان جميع أخطاء الحزب لها جذور آيديولوجية.

و تاريخ الحزب الشيوعي الايراني وحزب توده المنحل مليء بالأمور والممارسات التي تبيِّن هذه الميِّزات.

والتحرر من قيود هذا النوع من التفكير والعمل، والتفاعل مع الناس، هما سبيلان كفيلان لانقاذ الذين قيدوا أنفسهم باسلوب التفكير هذا، واعادة الشخصية لهم من جديد.

* الكتب التي ألفتها حول الإسلام مزيفة وغير معتبرة:

اسمحوا لي هنا أن أتحدث بعض الشيء عن نفسي. انني ــ باعتباري من الأعضاء القياديين لحزب توده ــ أرى نفسي مساهماً في جميع جرائم الحزب، ولهذا السبب أطلب من المحضر الشريف لقائد الثورة الاسلامية الكبير والشعب المنجب للشهداء أن يقبلوا اعتذاري و يصفحوا عني ــ استغفرالله ربي وأتوب اليه ــ.

لقد كانت مهمتي في اللجنة المركزية لحزب توده المنحل، تتمثل بادارة شؤون الشعبة الآيديولوجية. وهذه المهمة كانت قد أُنيطت بي منذ فترة مديدة. ولهذا السبب ألّفت بعض الكتب حين كنت خارج البلاد، من جملتها: دراسة حول الرؤى الكونية والحركات الاجتماعية في ايران، ومقالات فلسفية، و إيران خلال القرنين الماضيين[٧].

وما ورد في هذه الكتب حول الإسلام وتاريخه وحياة المفكرين الاسلاميين وأفكارهم مزيف وغير معتبر، إذ أن أكثر المصادر تعود لأورو بيين صهاينة وعملاء للامبريالية أو لمؤرخين ماركسيين لهم أغراض معينة. ومن جملة هؤلاء؛ ارنست رونان، غولد زيردوزى، لامنس، غولهاس، غايگر، بطروشوفسكى، وغيرهم. وجميع هذه المصادر غير معتبرة.

هذا من جهة، ومن جهة أُخرى فانَّ بعض هذه المصادر تعود لإيرانيين

كانوا يعملون لحساب نظام الشاه، أو لهم علاقة بالماسونية. واعتبار هذه المصادر ليس بأكثر من المصادر التي أشرت اليها آنفا. إضافةً الى أنني قلّما كنت أستفيد من الكتب الإسلامية، وذلك لعدم توفرها لديّ. ومن هنا فان هذه الكتب مليئة بالمغالطات والتزييف، ويجب الإبتعاد عنها. وبالنسبة لكتاب «ايران خلال القرنين الماضيين» فعلاوة على الأخطاء الموجودة فيه، هناك خطآن: الأول هو اعتبار «شريعت سنگلجي» شخصاً متجدداً في المسائل الاسلامية في حين ــ وعلى حد قول الامام الخميني في كتاب «كشف الاسرار» ــ ان هذا الشخص لم يقل حتى كلمة واحدة حول السياسة التي تشكل أساساً للقضايا الاجتماعية في الاسلام. وهذه اللاسياسة هي بحد ذاتها سياسة تخدم الاستعمار.

ويتمثل الخطأ الثاني باعتبار «أحمد كسروي» في عداد الأحرار، في حين أن (كسروي) قد امتدح ــ في بداية نشاطاته ــ «رضا شاه» في كتابه «دادگاه»[٨]. اضافة الى أنه قد استخدم أسلوب الغزل مع البهائيين في كتابه الصادر بعنوان «بهائيگري»[٩].

* تآمر الشرق والغرب على الاسلام:

في الواقع انه كان ومايزال ــ هناك في الشرق والغرب ــ تيار يبذل مابوسعه ضد الاسلام. وقد وصفه الشهيد المطهري بالمقص، إذ تمّ اعداد آلتين قاطعتين من الشرق والغرب للقضاء على الاسلام واقتلاع جذوره. وان معارضة «كسروي» ومحاولات «شريعت سنگلجي»، ونشاطات البهائيين، والسير على نهج عمرالخيام، والتيارات الالحادية، كل هذه الأمور معادية للدين الاسلامي وتتآمر عليه. انهم يتحدون الاسلام ويحرّفونه. ولقد آن الأوان للاهتمام أكثر بالاسلام في المجتمع وتعريفه على العالم أجمع.

وفيما يتعلق بمؤلفاتي الآيديولوجية، فانني اكتفيت بالاشارة الى ثلاثة كتب فقط، في حين أن لي عشرات الكتب والمقالات في هذا المجال، وكلُّها تستند الى الماركسية.. ولذلك فهي مزيفة من حيث بطلان الأُسلوب والمنطق. ورغم انني كنت مخلصاً في كتابتها، إلّا أنَّ هذه المؤلفات يجب اعتبارها باطلة.

* لماذا انتقد الماركسية؟

والآن اريد نقد الماركسية. لكن وقبل كل شيء أشير الى الملاحظة التالية وهي أن نقدي للماركسية ليس وليد لحظة معينة، بل هو ثمرة تفكير طويل ومرير في السجن. كما لعبت بعض العوامل دوراً مؤثراً في هذا التحول الروحي، من جملتها:

١ ــ الاعترافات الفردية والجماعية لقادة حزب توده وأعضائه في الاذاعة والتلفزيون.

٢ ــ الكتب والكراسات التي طالعتها في السجن.

وقد حصلت على الكتب في وقت كنت قد تخطيت فيه جزءاً من الطريق. على سبيل المثال حصلت على مؤلفات العلامة الفقيد الطباطبائي، والشهيد آية الله بهشتي، والشهيد المطهري.

وكتاب «أُصول الفلسفة والمدرسة الواقعية» ألّفه العلامة الطباطبائي، فيما كتب حوله الشهيد المطهري شرحاً مفصلاً. وهذا الكتاب الذي كنت قد قرأته في السابق قراءة سريعة، بدأت أستأنس به كثيراً.

و كتاب بداية الفلسفة (ترجمة بداية الحكمة) للعلامة الطباطبائي هو من جملة الكتب الأُخرى التي طالعتها. كما طالعت: المقالات الفلسفية والدوافع نحو المادية وشرح المنظومة، ومقدمة حول النظرة الكونية الإسلامية[١٠]، والعدل الإلهي وغيرها من كتب الشهيد المطهري. وهذه المطالعات كانت مصحوبة بالتفكير والتأمل، وقد جلعت استعداداتي النفسية اكثر ملاءمةً واستقبالا.

٣ ــ تعاملي مع الاخوة المسلمين والتباحث معهم. والمسألة التي كانت تتكرر في هذه المباحثات هو أنني كنت لمدة (٤٠) عاماً أعمل لنشر الماركسية عبر كتبي ومقالاتي، وأثّرت على بعض قرائي الشباب فاندفعوا وراء التصورات الواهية التي كنت أسير وراءها. والآن وقد اتضحت لي شخصياً ثمرة هذه الآيديولوجية، فانني أرى نفسي ملزماً بمساعدة الشباب الذين ساروا في طريقي ليجدوا طريق الحق، ولئلا يحتموا في بلد الثورة بالسقف المنهار والحائط المهدم للماركسية، بل

يوحدوا صفوفهم في ظل القيادة الحكيمة لإمام الأُمة.

وكان الاخوة يلفتون نظري الى هذه الوظيفة الدينية والوطنية. كما أن توصياتهم جعلتني أهتم بالمسألة التالية وهي الرغبة المليونية الشديدة للشعب الايراني في الثورة والجمهورية الاسلامية وإمام الأمة القائد.

ان هذه الرغبة الشديدة للناس ليست أمراً بسيطاً بالنسبة لشخص يرى نفسه جزءاً من تراب وماء هذا الوطن، وآبناً لهذه الجماهير، ومرتبطاً بهذه الثورة، ومتعلقاً بقائد الثورة. وهذا هو أهم عامل دعاني لأكون حازماً في البحث عن الحقيقة والوصول اليها.

وأرى من الضرورة بمكان أن اشير هنا الى أنَّ التغيير الذي طرأ على أفكاري نشأ من هذه العوامل، لا من الخوف أو الضغوط أوماشابه ذلك.

* هل هناك صحة لادعاء علمية الماركسية؟

علمية الماركسية:

لكي نجري دراسة نقدية للماركسية، علينا قبل كل شيء أنْ نعرف مدى صحة ادّعاء الماركسيين حول علمية هذه الآيديولوجية.

إنَّ ماركس و إنجلس وصفا نظريتهما بـ «الاشتراكية العلمية» فيما وصفا نظرية أسلافهم الاشتراكيين بـ «الاشتراكية الخيالية». واستناداً الى أقوالهما فان الاشتراكيين الخياليين كانوا يهدون نظريتهم للملوك والمتنفذين، ويتوقعون قبول أطروحاتهم في مجال العدالة الاجتماعية. غير أنَّ ماركس وإنجلس، كانا يقولان إنَّ الدور الحقيقي ــ أي العامل الثوري، و بعبارة أُخرى طبقة العمال ــ لم يكن واضحاً في الاشتراكية الخيالية. إلَّا أنَّ الاشتراكية العلمية ــ واستناداً الى ادعاء الماركسية ــ تتوجه بشكل مباشر نحو العامل الثوري، أي الطبقة العاملة بدلاً من التوجه الى السلطات.

إنَّ اصطلاح «العلمية» ليس اصطلاحاً وارداً في هذا البحث. فإذا كان هناك من يعد المشاريع والبرامج على أساس من تفسيره وتحليله ويراجع الطبقة العاملة، فما هي علمية هذا الأمر؟.

وقد تكون «العلمية» بمعنى العلمية في العلوم الدقيقة، ولهذا السبب فان

هؤلاء يشيرون إليها ــ عادةً ــ عند بيان أفكارهم. و «ماركس» ــ على سبيل المثال ــ يقارن اسلوب عمله بأسلوب عمل تشارلز دارو ين، ويسعى لتوضيح الصورة المميزة للتكامل في المجتمع على ضوء ما أثبته دارو ين حول الموجودات الحية.

إن «العلمية» بمعنى العلوم الدقيقة والعلوم الطبيعية هي الحد الأعلى للعلمية، وان التجربة وحصول الكمية في هذه العلوم ــ وخاصة في الفيزياء ــ هما بدرجة كبيرة، ورغم التطورات التي حصلت في العلوم الاجتماعية خلال عصرنا هذا، فانهم لم يقيِّموا العلمية على أساس من التجربة والمحاسبات الكمية ولن يستطيعوا أن يقيموها، لأن حواس التقييم والقياسات والعوامل المؤثرة في العلوم الانسانية والاجتماعية هي كثيرة، وان التحول والتنوع والحركة في داخلها حساسة للغاية. اضافة الى ذلك فان الوعي الذاتي، والدور الفردي للابداع، والعمل في القضايا الاجتماعية تؤثر على الصورة كثيراً، الى درجة أن القوانين الاجتماعية في أفضل حالاتها ترتفع وتهبط حول المحور المفروض، أي القانون الاجتماعي.

ثم ان هذا المحور المفروض سرعان ما يتغير، لأن جميع الأشياء في العرف الاجتماعي تكون في حالة تحوُّل وصيرورة. والقانون يظهر فقط بهيئة تيار، ويفتقر الى البساطة وتناسق الأجزاء ــ فيما لو قارناه بالقانون الطبيعي العادي ــ. إذن كيف يمكن في مثل هذه الحالة القول بأن غليان الماء له كيفية مشابهة للثورة الاجتماعية.؟

القانون الاجتماعي تيار لاغير، بمعنى أن الأحكام والمسائل الاجتماعية هي نسبية للغاية، وتتغير في الأماكن والأزمان بمقتضى الأحوال. فالقانون الاجتماعي ليس كمثل القوانين الفيزياو ية التي تكون واحدة سواء على وجه الأرض أو في الاجرام السماو ية السيارة وماوراءها.

والمحاولات التي تبذل لإعطاء توضيح دقيق حول وضعٍ انسانيٍّ واجتماعيٍّ ما، تصبح قديمة بعد فترة من الزمن، وتفقد علميتها السابقة.

والقاء نظرة على تاريخ تكامل التصورات الاشتراكية للماركسية، يوضح مدى نسبية هذه العلمية، ومدى التباين بين وجهات نظر ماركس وانجلس من

جهة،ووجهة نظر لينين من جهة أخرى ازاء مسألة الثورة واقامة النظام الاجتماعي مثلاً.

ان البحث في علمية الاشتراكية يبيِّن لنا التباين بين الرؤية والتصور في الماركسية من جهة، والواقع الذي تواجهه الماركسية من جهة أخرى.

الرؤية والواقع:

هناك اختلاف كبير بين الرؤية التي تصفها الماركسية، والواقع الذي نراه في الاتحاد السوفيتي. إنهم يسمون الاشتراكية ـ عادة ـ بالاشتراكية الموجودة في الواقع، و يعتذرون عن عدم امكانية توفر أكثر من هذه الاشتراكية.

وفي الحقيقة هناك اختلاف كبير للغاية بين الاشتراكية التي يصفها قادة الاشتراكية وهذه الاشتراكية الموجودة. فعلى سبيل المثال ان الحكومة والجيش ووكالات التجسس هي أجهزة تسيطر على زمام الأمور في المجتمعات الاشتراكية. في حين ان لينين يتنبّأ في كتابه «الدولة والثورة» باضمحلال هذه الأجهزة.

وهذه المسائل قيلت وكتبت قبل انتصار ثورة اكتوبر عام ١٩١٧ م، لكن و بعد السيطرة على السلطة إثر الحرب الداخلية، أسس لينين الجيش الأحمر و وكالة «جكا» التجسسية.

لاحظوا مدى الفرق بين الرؤية التي تتحدث عن تلك النظرية، والواقع الموجود. أو على سبيل المثال ان الجميع يعلمون ماهي أسباب الفقر الذي كان يسود المجتمع الروسي قبل الثورة.

ان الثورة الاشتراكية كانت تعد للقضاء على هذا الفقر المزمن، وتوفير حياة مرفّهة. واليوم تمر ٦٦ سنة على الثورة الاشتراكية، إلّا أنَّ أكثر مطالب الشعب السوفيتي لم تتحقق بعد، وعلى رأسها مسألة الخبز واللحم. وان المستوى المعيشي في الاتحاد السوفيتي هوأوطأ من المستوى المعيشي في بقية الدول الاشتراكية مثل المانيا الديمقراطية والمجر وتشيكوسلوفاكيا.

الميكافيلية:

ان الميكافيلية باللغة العادية، تعني ان الانسان يجب ان لايشعر بالقلق ازاء هدفه، وان يستخدم كل وسيلة لتحقيق أغراضه حتى وان كانت قذرة ومنافية للأخلاق.

والاتحاد السوفيتي يلجأ في السياسة والديبلوماسية الى جميع أنواع الاشتراط والمساومة، وهذا مايفسح المجال لنمو الميكافيلية، و يعقِّد السياسة بنظر أبناء العالم، ويزيد من تعقد الأوضاع.

والماركسية ــ في الظاهر ــ لا تقول مثل هذا الشيء، ولكن هناك مبدأ أخلاقي ماركسي ينتهي الى الميكافيلية. فالماركسية تدعو لاستخدام جميع الوسائل من أجل مايسمى بالأكثرية المحرومة في المجتمع، مؤكدة في نفس الوقت أن السلطة الحاكمة هي الناطقة الرسمية باسم هذه الأكثرية، وان ماتقوم به هو خير.

ويمكن عبر هذا المبدأ الوصول ببساطة الى الميكافيلية. والماركسيون يحققون أغراضهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها عن طريق اللجوء الى الأساليب اللاأخلاقية.

والميكافيلية تتواجد بالضبط في الاتجاه المعاكس للسياسة التي يجيزها الاسلام. فالاسلام يرى السياسة الصحيحة في السياسة التي كان ينتهجها الامام علي والحسين بن علي (عليهما السلام)، إذ كانا يعلنان عن أهدافهما دون أدنى خوف. ولهذا السبب فاننا وانطلاقاً من توصيات امام الأمة نتجنب أي انتقام في قتالنا ضد صدام رغم قدرتنا على الإنتقام.

إذنْ فان ضرب العدو بالقنابل والصواريخ ليس أمراً عسيراً بالنسبة للقوات المسلحة في الجمهورية الإسلامية.

والملاحظة الأُخرى التي تجدر الإشارة اليها حول الماركسية هي التصورات الجازمة. فكثيراً ما تعرَّضت علوم الطبيعة والإقتصاد والسياسة للأفكار الجامدة والمتحجرة، وكثيراً ماوقف المجددون بوجه الاشخاص الذين يحملون تصورات جازمة. وكان الصراع مريراً، وكان في بعض الأحيان يسفر عن خسائر،

ولكن في نهاية المطاف استطاعوا أن يجبروهم على التراجع.

وهذه التصورات الجازمة كانت متعارفة الى عهد ستالين، واستمرت لسنين طويلة، وهي ــ اليوم ــ مشهودة في مجالات مختلفة. ففي وقت ما أعلن عن تناقض علم الوراثة (جينتكس)* مع علم الاطلاعات والسيطرة (سيبرنتيكس)**، ولكن بعد وفاة ستالين استعاد المدافعون عن العلم منزلتهم الخاصة بهم وتمكنوا من اجبار دعاة الجزم على الإنسحاب. وفي مجال علم الإقتصاد فقدت المبادئ الموجودة قيمها مرات ومرات، وتغيَّرت وتتغير قوانين البرمجة الصناعية والزراعية. واينما حصلت تغيّرات أكثر، أُعيد النظر في عدد أكبر من المبادئ الموجودة.

وهذا الوضع نشاهده على الخصوص بين مايسمى بالأحزاب الشقيقة. فعلى الرغم من مقاومة الاتحاد السوفيتي وأحزاب أخرى، الا أنه تمَّ من خلال الضغوط، الحيلولة دون انشاء المركز العالمي للأحزاب الشيوعية.

وهذا المركز كان عليه ان يحدد الاستراتيجية العامة، لكن حزب توده ــ ممّا يتبيَّن من ممارساته ــ ظلَّ حتى أواخر عمره ملتزماً بالجزم، و يتنفس في الأجواء الاستالينية.

ان أهم حكم لـ «ماركس» ازاء تفسير وتوضيح الظواهر الاجتماعية، كما بيَّنه انجلس على مزار ماركس هو: «ان شروط الحياة المادية مثل؛ الغذاء، الملبس، المسكن، هي عوامل مفضلة ولا تقبل النقاش، بينما العوامل المعنوية ــ كالمذهب ــ لها نواح ثانوية في صف العلم والسياسة والحقوق وغيرها وتتأثر بالعوامل المادية. والعوامل الأُولى هي الأساس، بينما الثانية هي البناء. وطبيعي ان البناء حين يظهر يؤثر بدوره على العوامل المادية».

و يعزى تفضيل العوامل المادية، الى التقليل من شأن العامل المعنوي في جميع التحليلات التاريخية والاجتماعية، لكن ومن خلال نظرة الى تكامل المجتمع البشري يتضح لنا ان هذين العاملين كانا متلازمين منذ خلق الانسان، وان العامل المعنوي كان ولايزال يتواجد الى جانب العامل المادي، خاصة وان العامل الذهني والمعنوي مثل ظهور اللغة والفكر يشكل أساساً رئيساً لظهور النوع الموجود من الانسان. والفكر هو الذي يحدد الاعمال، لا أن الاعمال هي التي تحدد

الفكر، أوعلى الأقل هما متلازمان.

لو فصلنا الإنسان عن المجتمع، لما بلغ مرتبته الانسانية مطلقا، فكيف بالفكر واللغة اللذين يكسبهما من المجتمع؟ ان التلازم هو بشكل بحيث ان البحث عن العامل المقدم، يفسد العمل ويؤدي الى استبدال التاريخ بنسخة معدّة من السابق.

وهذا التقدم المطلق للوجود المادي على الوجود المعنوي، والمادة على الروح، والاقتصاد على النفس والأخلاق الإجتماعية، والعمل على الفكر، يعتبر ضغطاً كبيراً عمل على إضعاف البناء العظيم للماركسية. كما أنَّ جعل التاريخ ذا اتجاه واحد فقط هو خطأ اعتبره انجلس ناشئاً منه ومن ماركس. وحين يتحدث ماركس عن الاقتصاد الرأسمالي يبيِّن سيره التاريخي كما يلي:

(و لهذا السبب يتركَّز الفقر في قطب والثروة في قطب آخر وتتعدد الأقطاب في المجتمع الرأسمالي. وتنضمُّ أغلب الطبقات المتوسطة الى جيش الفقراء في حين تنضمُّ الى الرأسماليين أقلية صغيرة).

لذلك و بالأخذ بنظر الإعتبار وضع الرأسمالية، فإنَّ بطلان هذه المسألة التي طرحت قبل ١٢٠ عاماً قد اتّضح بشكل ملموس، إذ توجد هناك لحد الآن طبقات متوسطة قوية وصامدة في الدول الرأسمالية.

وفي هذا التحليل، فان ماركس اعتبر الفقر المطلق أي الفقرالأكثر من السابق، والفقر النسبي أي الفقر قياساً الى الأغنياء، أمرين حتميين للعمال. في حين أن الفقر المطلق ليس له صحة. على سبيل المثال ان أوضاع العمال الإنجليز والفرنسيين وغيرهم الذين يَعْنيهم ماركس هي أفضل مما كانت عليه في القرن التاسع عشر، ولايمكن اعتبارهم أفقرممَّا كانوا عليه في القرن الماضي. وهذا لايعني أن جرائم المجتمعات الرأسمالية وسلبياتها قد انخفضت، بل على العكس. إنها تزداد على مرِّ الأيام. فما من يوم يمر دون أنْ ينهدم حائط من البناء القديم للرأسمالية. ولذلك فالرأسمالية ليس لها هي الأخرى أي مستقبل.

الحزب:

ان الماركسيين ــ وفقاً للتعريف المتداول ــ يعتبرون الحزب منظمة

طليعية للطبقة العاملة. ولو أخذنا بنظر الاعتبار الواقع الموجود، لا تضح لنا بأن هذا التعريف خالٍ من المحتوى. ففي الحقيقة ان الأحزاب الماركسية الحاكمة إنما هي أجهزة محدودة ومتسلطة، يوصل أفرادها أنفسهم الى السلطة بالوسائل البيروقراطية، ثم يصل الدور الى الجموع الكبيرة من الناس التي تشكل أعضاء الحزب، و يتم تنظيمها بالطرق الادارية. وان الاعضاء الذين نشاهدهم في الأحزاب هم وسيلة لدى الأحزاب لاظهار قوتها. فيما يسمى هذا التيار بالحزب الطليعي للطبقة العاملة وتكون علاقته بهذه الطبقة شبيهة بعلاقته ببقية فئات المجتمع، أي أنها علاقة باردة. ومثل هذه الأحزاب لا تعمل لصالح الطبقة العاملة، وانما لصالح المصالح الحكومية الخاصة.

ان تحريف معنى الحزب يصدق بقوة على حزب توده المنحل، الذي كانت تبعيته للاتحاد السوفيتي واضحة للعيان.

ومن المبادئ المهمة التي يتم التأكيد عليها في الشؤون الحزبية، هو مبدأ (الديمقراطية المركزية). وهذا المبدأ يعود بالفائدة على مسؤولي الحزب، لكنه لايلعب دوراً مؤثراً في مصير الحزب والبلاد، لأنه وسيلة للتصويت والمصادقة وتبرير القرارات.

وعدا اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي التي تعتبر مركزاً لاتخاذ السياسات والقرارات، فإنَّ جميع أجهزة الأحزاب الحاكمة تدار من قبل هذا المركز، وان نشاطاتها هي في الحقيقة انعكاس لنشاطات المركز المذكور. وخلاصة القول ان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي هي التي تتخذ القرارات بشأن القضايا الأساسية.

وطبيعي ان توجد هناك مسائل ليست بدرجة من الأهمية، وتكون مسؤولية النظر فيها من اختصاص الأجهزة البيروقراطية المحلية. وعلى أي حال، فان جهازاً بيروقراطياً قوياً وفعالاً يترأس مجتمعاً متعدد القوميات وذلك على ضوء مبدأ لينين الذي هو أساس التنظيمات الحزبية والحكومية. وهذا المبدأ يصرِّح بأن أعضاء الحزب لهم حق انتخاب الكوادر الحزبية، فيما يحق للناس أن ينتخبوا المسؤولين الحكوميين. ويحق لهم جميعاً أن يرفضوا الأشخاص المنتخبين اذا لم يكونوا صالحين، و ينتخبوا آخرين بدلاً منهم. ولهم حق انتقاد السلبيات وطرح اقتراحاتهم

والإعلان عن ابداعاتهم. هذه هي جوانب الديمقراطية.

غير أن المركزية تعني ان المسؤولين الحزبيين والحكوميين يحق لهم بعد انتخابهم أنْ يطلبوا تبعية القاعدة للقيادة. وكان التصور السائد هو أن هذا المبدأ يمكن أن يُعَدَّ أفضل نهج لإدارة البلاد، ولكن اتضح ــ عملياً ــ انه لايمكن الموازنة بين مبدأ المركزية ومبدأ الديمقراطية. فلو أُتيح المجال للديمقراطية، لواجهت المركزية مشاكل كبيرة. ولهذا السبب فانهم اختاروا المركزية كمبدأ أساسي من بين هذين القطبين المتناقضين. وكانت النتيجة أنْ حُرِمَ الناس وأعضاء الحزب من حقوقهم الديمقراطية نتيجة لضغوط المسؤولين. أما الحقوق الديمقراطية فيحددها المسؤولون و يصادقون عليها. على سبيل المثال تتمُّ بين فترة واخرى المصادقة على قائمة المرشحين في داخل الحزب، ثم تعرض على الناس، ليدلوا بأصواتهم وفق هذه الديمقراطية المفروضة بالقوة. لذلك من الأفضل في مثل هذه الحالات تسمية الديمقراطية المركزية بـ «المركزية الأكيدة». اذ ان المسؤولين المركزيين ان لم يكونوا أساسيين واكثر مركزية، لم يؤخذ كلامهم بنظر الاعتبار في القرار النهائي.

ان انعدام الديمقراطية بمعناها الصحيح في التنظيمات الماركسية هو مرض مزمن لاعلاج له، لأنّ القيادة تشعر بالرعب من طبيعة الناس ومن فطرتهم، وتبذل مابوسعها للحيلولة دون ظهور هذه الطبيعة. وهذا هو بحد ذاته نفس الدور الذي يقوم به الامبرياليون الغربيون في بلدانهم، ولكن بطريقة أخرى.

والديمقراطية الغربية ليست إلّا شعاراً طنّاناً وملوناً. فمنذ (٢٠٠) عام وأميركا تدير سلطتها بين فئتين محدودتين، وتستخدم تأييد الناس ستاراً لها، في حين أن الديمقراطية في هذه البلاد ليست في الحقيقة سوى ديمقراطية فوضوية.

الأُمميَّةُ:

عندما أصدر ماركس ولينين بيان الحزب الشيوعي في عام ١٨٤٨، كتبا في نهاية البيان الشعار التالي: «ياعمال العالم اتحدوا». وهذا الشعار تبدَّل فيما بعد الى شعار الأُممية. وقد صدر البيان بخصوص عدة دول أوروبية. فماركس وانجلس دعَوا عمال الدول الصناعية الغربية الى الاتحاد. و بعد ان انتصر لينين مع البلاشفة في الثورة الروسية أخذت مسألة حفظ مصالح الثورة طابعاً دولياً، فتبدل

هذا الشعار الى شعار: «أيها العمال والشعوب الأسيرة بيد الاستعمار إتحدوا». و بعد ان اشتد نضال السلم والحرب بعد الحرب العالمية الثانية، تطور الشعار الى: «أيها العمال، أيها الشعب المضطهد، وأيتها القوى التقدمية والمحبة للسلام، اتحدوا» وكلما كبر الشعار، كلما ضاق محتواه الحقيقي الدولي. اذن فمصالح الطبقة العاملة والأحزاب الشيوعية (بل ومصالح الحركات التحررية وحركات السلم في كل مكان) أصبحت تابعة لمصالح الاتحاد السوفيتي الديبلوماسية. على سبيل المثال هل من الممكن أن يستنكر مجلس السلم العالمي هجوم صدام على ايران؟ كلا، فهذا الأمر لايتفق مع الأممية.

ولذا كان شعار الأممية في البداية تضامناً معنوياً لاحدَّ له. لكنه اليوم تغيَّر الى التبعية، وان أسوأ حالات هذه التبعية هي الارتباط والتجسس. وكان حزب توده نموذجاً لهاتين المسألتين.

وعندما تنشأ الأممية من أحاسيس ومشاعر أكبر، ومن الشعور بالغرور، فانها تنحط الى درجة يحل معها الجاسوس محل الشخص الثوري. وهذه هي ممارسات التنظيمات التي لا تدرك قذارة هذا الأمر.

ان الأممية تمثل ــ في الواقع ــ سيطرة الآيديولوجية القومية للاتحاد السوفيتي، وعلى الخصوص القومية الروسية التي انتشرت نتيجة لاشتعال ثورة اكتوبر وظهور اللينينية في روسيا.

وقبل أن أواصل حديثي عن الماركسية، أرى من الضرورة بمكان أن اشير هنا الى أنني دوّنت ونظّمت وجهات نظرى عن الماركسية وسأنشرها قريباً في كتاب خاص.

هذا الكتاب يوضح بطلان الادعاءات الماركسية وأبعادها المختلفة.

والآن لنتعرف على وجهات نظر ماركس ولينين بشأن الثورة.

كان ماركس يتصور بأن الثورة ستقع في دول اوروبا الغربية، و يقول: (مالم تحصل ثورات في الدول الاوروبية المهمة، فمن غيرالممكن ان تحصل ثورات في الدول غيرالنامية).

و في الثمانينات من القرن التاسع عشر كان يرى ان توفر ظروف الثورة لايتم الا بعد خمسين سنة، غير ان هذا الأمر لم يتحقق. اما لينين فقد بدأ الثورة في

شرق اوروبا، وكان يقول: (من الممكن ان تقع الثورات في الحلقات الرأسمالية الضعيفة). فـ (لينين) يتصور ان الثورة تقع نتيجة لنشاطات حزب صغير ومنضبط، يعمل بسرية، و يسلب القدرة من الهيأة الحاكمة.

هذه المبادئ أصبحت فيما بعد أساساً لبرنامج الأحزاب الشيوعية.

ان وجهات نظر ماركس التي كانت تدور حول نضج الظروف الملائمة في الدول النامية تتباين بوضوح مع وجهات نظر لينين الذي كان يفكر في حلقات ضعيفة. ورغم نجاح لينين، إلّا ان الثورة في أجواء دولة غير نامية عادت على الاشتراكية بنواقص ومعايب كبيرة لازال مصيرها موضع سؤال. فهذه الثورة لم تستطع في الظروف الخاصة لروسيا ان تتحرر من السلبيات الكبيرة للحكومة. وأكبر نموذج على ذلك مجيء ستالين الى السلطة و بقاؤه فيها مدة ٣٠ عاماً وارتكابه جرائم كبيرة في داخل الاتحاد السوفيتي وخارجه.

و بعد موت ستالين، انفصلت بعض الدول، مثل؛ الصين، وألبانيا، ورومانيا وكوريا الشمالية عن الاتحاد السوفيتي، فيما وقعت أزمات كبيرة في: المجر، وألمانيا الديمقراطية، وتشكوسلوفاكيا و بولونيا.

و مما لاشك فيه ان هذه التغييرات الشديدة، أدت الى تغير الاشتراكية، و بالتالي الى هبوط في المستوى المعيشي والحقوق الديمقراطية، ومع ذلك لم تحل حتى اليوم أزمات المجتمعات الاشتراكية. وهذا الأمر كان من حيث الشخصية والعلم ومبادئ العمل السياسي يتباين بشدة مع مواقف ستالين. ولكن خلال عهد لينين كان النظام السائد هو نظام الحزب الواحد وتقلص الديمقراطية مما أدى الى إتاحة كل هذه الظروف السياسية التوسعية في الداخل والخارج.

* الأخلاق في الاتحاد السوفيتي:

انحطاط الأخلاق الخاصة في الاتحاد السوفيتي، هو مسألة تلفت اليها أنظار الآخرين. فاستهلاك المسكرات وخاصة «الفودكا» هو أكبر مما عليه في الدول الأخرى. كما ان اللامبالاة في العلاقات الجنسية هي بدرجة تهدد العلاقات العائلية وتؤدي في كثير من الأحيان الى الطلاق. واصبح الاختلاس في المؤسسات الحكومية والمراكز التجارية أمراً شائعا، وقد تحوّل في كرجستان وأرمينيا،

وآذربايجان وأزبكستان إلى مرض مُعْدٍ.

الحكومة تكافح هذه المظاهر، الا ان نوع الحياة في الدول الغربية قد تسرَّبَ الى المجتمع السوفيتي بشكل لايمكن الحيلولة دونه.

لقد أثبتت التجربة الناجحة في ايران أن إشراف الدين له تأثير عميق في زيادة التقوى الاجتماعية، خاصة الدين الذي يكون فيه الله مشرفاً على جميع الأشخاص ويحاسب الجميع دون استثناء، مما يؤدي الى ظهور تقوى عظيمة لدى الناس.

و بدون الأخذ بنظر الاعتبار عامل المذهب، لايمكن ــ قط ــ توضيح التقوى في المجتمع الاسلامي الايراني.

ان انعدام هذا العامل القوي له تأثير كبير في ظهور الفوضى الاخلاقية في الاتحاد السوفيتي. وان الحياة في العالم الغربي الرأسمالي لها شبه ملحوظ بالحياة في العالم الشرقي الاشتراكي.

وكان يتوقع من المجتمع الاشتراكي ان يراعي الفضائل الاخلاقية الخاصة والعامة، لكن هذا الأمر لم يحصل. وهنا أيضا يقف التصور والخيال حول الاخلاق الاشتراكية مقابل الواقع.

* نموذجان للثورة:

شهدت المرحلة الأخيرة حادثتين في المنطقة. ورغم انه لايمكن المقارنة بينهما، الا انهما تبيِّنان اختلاف الماركسية مع الاسلام في مجال الثورة. وتتمثل احدى هاتين الحادثتين بالثورة الاسلامية في ايران، فيما تتمثل الأخرى بالانقلاب الماركسي في افغانستان.

في الثورة الاسلامية كان الشاه وحلفاؤه الامبرياليون موضع انتقاد الناس. وكان المجاهدون المسلمون يشكلون القسم الأعظم من القوة المناضلة، ومن هنا كانوا يتعرضون للملاحقة والتعذيب والموت على يد جهاز السافاك . واضافة الى المجاهدين المسلمين، كان هناك اشخاص من الليبراليين والشيوعيين يطرحون انتقاداتهم من خلال تنظيمات كارتونية مختلفة.

وكان الشيوعيون بما فيهم عناصر حزب توده المنحل يعملون من خارج

البلاد. وعندما اشتعلت الثورة، تبيَّن ان المجاهدين المسلمين بقيادة الامام الخميني يسيطرون بشكل تام على افكار الناس. و بقيادة الامام الخميني خاضت الجماهير بأيديها الخالية من السلاح كفاحاً ضد النظام الذي كان مدججا بالسلاح، متحملة المشقات والآلام والخسائر، وتمكنت في نهاية الأمر من أن تذيب الجبل الجليدي للنظام. فهرب الشاه من البلاد، وعاد الامام من المنفى، واقامت الثورة بسواعد ملايين الناس أُسس نظامها المنشود.

ان الليبراليين والشيوعيين قد افتضحوا خلال سنيِّ الثورة. وكانوا ــ في الحقيقة ــ عوامل للنزاع والاختلاف في داخل الثورة، ولم يكونوا ليهتموا بالثورة الاسلامية.

لقد كانت الثورة الاسلامية، ثورة شعبية بكل معنى الكلمة، انتصرت تحت لواء الاسلام و بقيادة الامام الخميني.

أما في أفغانستان، فان الجماهير لم يكن لها أي دور في مايسمى بـ (الثورة). فالثورة، لم تكن ــ في الواقع ــ ثورة، بل انقلابا عسكريا نفذه الحزب الشيوعي. وسرعان ما بدأت الاختلافات تظهر بين جناحي الحزب الشيوعي أي جناح (پرچم) وجناح (خلق)، ورغم تبعيتهما للاتحاد السوفيتي الا انهما كانا مختلفين فيما بينهما. وبمرور الزمان خرج جناح (پرچم) من الساحة، ثم دخل الانقلاب مرحلة ثانية، حيث دخل جناح پرچم والجيش الروسي الى الساحة، فأبعدا جناح (خلق) عن السلطة وقُتِلَ حفيظ الله امين. وهذا ما يبيّن بوضوح انها قضية اقلية ليس لها أدنى نفوذ، وتخلق المشاكل الدولية الكبيرة لنفسها وللدولة التي تساندها.

ان انقلاب افغانستان واجه ــ منذ لحظة وقوعه ــ ضغوطا من جانب المجاهدين المسلمين، ومازال الكفاح قائما ــ حتى اليوم ــ ضد القوات الحكومية والقوات السوفيتية.

أما أسباب هذا الوضع فترجع الى ان الآيديولوجية الماركسية التي تفرض تآمر قوة ضعيفة على المجتمع، واجهت في المجتمع الاسلامي الافغاني مقاومة شديدة. ولن تحل الاضطرابات في افغانستان بهذه البساطة.

ان المقارنة بين الثورة الاسلامية في ايران والانقلاب الماركسي في افغانستان تثبت بطلان النظرية الماركسية التي تعتبر القوة والعنف ملاكا، وترفض المعنويات.

* التاريخ والجزم الماركسي:

ان كتب التاريخ التي تدرس في مدارس وجامعات الاتحاد السوفيتي والتي تطبع بآلاف النسخ، وكذلك كتب التاريخ العامة والخاصة التي تؤلف هناك، تقسّم تاريخ البشر الى خمس مراحل، هي: المرحلة البدائية، ومرحلة العبودية، ومرحلة الاقطاع، ومرحلة الرأسمالية و بالتالي المرحلة الاشتراكية.

ومع ان ذكر هذه المراحل الاجتماعية ليس جديدا من نوعه، الا أن وضعها الى جانب الأخرى وختمها بالمرحلة الاشتراكية، هما مسألة جديدة، لأن هذا الكلام يعني أن أي طريق نخطوفيه ينتهي ــ لامحالة ــ الى الاشتراكية!

وتلخيص العالم وما فيه بخمس مراحل، هو نوع من التصورات الجازمة. على سبيل المثال: إن آسيا وافريقيا السوداء وحضارتي «اينكا» و «آزتك» في المكسيك و بيروكانت لها مجتمعات معينة خاصة بها، وان روما واليونان وفرنسا وايطاليا والمانيا و بريطانيا القديمة ليست نماذج لتلك المجتمعات.

والعبودية في اليونان وروما وخاصة في روما قدمثلث الى حد كبير مرحلة استثنائية. فنتيجة لهجرة قبائل «الجرمان» و «السلاف» ازداد عدد الرقيق في روما الى درجة أنه بدأ يستفاد منهم في جميع الحقول الانتاجية. وبمجيء نظام روما انتهت عبودية البيض. وهذا النظام لايمكن له ان يكون نموذجا لآسيا. على سبيل المثال ان العبودية في ايران لم تكن تشبه العبودية في روما، إذ كانت أقل حدة. وان كبار المالكين او الاقطاعيين كانوا لاينظمون أمورهم على ضوء ما كان يتم في فرنسا و بريطانيا مثلا، بالضبط مثلما لم يكن هناك مثيل في الغرب لنظام الظلم الملكي الشرقي.

ان نظام الري خاصة في منطقة آسيا الغربية بما فيها ايران، لم يكن له مثيل لافي اوروبا ولافي آسيا الشرقية.

وهناك نماذج أخرى. فلونظرنا الى التاريخ المعاصر لرأينا ان الماركسية

عندما دخلت بلادنا قبل ٦٢ عاما، كان النظام نظاما عشائريا (يحكم فيه مالكون صغار وكبار). حيث كان الكسب والتجارة في الأسواق يشكلان الحياة التقليدية. ومن هنا فان التفكير في الصراع الطبقي بين العمال والرأسماليين من خلال التسلح بآيديولوجية معادية للدين في مثل هذه المرحلة هو كلام لامعنى له وفارغ أساسا. لذلك فان الشيوعيين كانوا مطرودين من قبل المجتمع ولم يتمكنوا من النمو. وكان النضال الحقيقي في ذلك الوقت يتمثل بنضال «ميرزا كوچك خان» الذي كان يحمل شعار «الاسلام ــ الاستقلال ــ النضال ضد الشاه والمستعمرين».

واستنادا الى تقسيم التاريخ الى خمس مراحل، فان الماركسيين يدرسون تاريخ دول العالم بما فيها ايران ثمّ يقوّمون الأشخاص والأحداث، مما يدفعهم هذا الأمر لارتكاب أخطاء كبيرة. على سبيل المثال نذكر كتابين تاريخيين ألفهما المؤرخون السوفييت. الأول هو كتاب «الاسلام في ايران»[١١]. وهذا الكتاب يدرس الاسلام في بلادنا منذ الهجرة وحتى نهاية القرن التاسع الهجري.

ان عدم الاطلاع على المعارف الاسلامية الذى يكون اول شرط له متمثلا باتقان اللغة العربية للاستفادة من المصادر، والسيروراء بعض المستشرقين المتخصصين بالعلوم الاسلامية للبحث عن نقاط ضعف معينة لإدانة الاسلام، واقامة الظواهر التاريخية على أُسس أُطلقت عليها تسمية المادية التاريخية، وعدم معرفة الروح الإسلامية وروح التشيّع، أدت جميعها الى أنْ لايدخل المنظر الخيالي لـ (بطروشفسكي) الى حيِّز الواقع. هذا الشخص يذكر توضيحين ماركسيين للمجتمع العربي في السعودية في صدرالاسلام، الأول: اضمحلال النظام القبلي وسلطة رب الأسرة ومجيء العبودية الى الحجاز، والثاني: الاعتقاد بالنمو المطرد للعلاقات الاقطاعية، بشكل يوحي بان الاسلام كان دينا لكبار الاقطاعيين في بدايته. ولكن لا النخاسون ولا الاقطاعيون يهيئون الأجواء لظهور الاسلام. وان مثل هذا التوضيح الماركسي يجعل من ظاهرة مذهبية معقدة ــ تشكل فصلاً جديداً في ظهور الانبياء الوحدانيين ــ ظاهرة بسيطة جدا.

وهذا المؤلف يشير في كتابه «ايران منذ العهد القديم وحتى القرن الثامن عشر الميلادي»[١٢] الى مسألة تبيّن مدى جهله بالاسلام. ففي الصفحة (١٥٠) من

هذا الكتاب، يعتبر التوحيد والصلاة والزكاة والصوم والحج أصولاً للدين. وهذا خطأ كبير.

والكتاب الثاني هو «تاريخ ايران الحديث»[١٣] بقلم المؤرخ السوفيتي ايفانوف. وهذا الكتاب ترجمه وأصدره حزب توده. فيما قمت أنا بكتابة مقدمة حول المؤلف وأثره من دون الاشارة الى أخطائه الكبيرة. على سبيل المثال ان الكاتب يقول في وصف ميرزا كوچك خان الذي كان يناضل من أجل الدفاع عن استقلال البلادواقامة النظام الاسلامي والغاء الملكية وطرد الاستعمار:

(من جهة أُخرى، ان ميرزا كوچك خان الذي كان تجسيداً لمصالح التجار، وصغار المالكين، بدأ مع تصاعد الثورة يعارض الإصلاحات الأرضية التي كانت قادرة على جذب الفلاحين نحو الثورة).

وحول (رضا خان) الذي وصل الى العرش على حساب دماء ميرزا كوچك خان وأمثاله، يقول الكاتب:

(في السنين الأولى من وصول العائلة البهلوية الى الحكم، أُتخذت بعض الاجراءات المفيدة لصالح الأوساط البرجوازية، وذلك من أجل تقوية استقلال ايران).

و يصف الشهيدَ «مدرِّس» الذي ناضل برجولة ضد رضاخان، وضحى بنفسه في هذا الطريق، بالرجعية، و يقول عنه:

(ان «مدرِّس» كان شخصاً متنفذاً وشخصية رجعية معروفة، وكان يتزعم المعارضين للجمهورية).

مع العلم ان (الجمهورية) لم تكن سوى لعبة من جانب الانجليز و «رضاخان».

و (ايفانوف) هذا يعتبر الامام الخميني الذي أسقط النظام البهلوي، من علماءالدين الرجعيين المتعاملين مع القوى المالكة الرجعية، غير ان التاريخ يسخر ولطالما سخرمن مثل هذه الادعاءات.

وهنا لانواجه جزما وتفكيرا سلطو يا فحسب، بل نرى ان الألاعيب السياسية تجعل من التاريخ ألعوبة بيدالروس.

وفي مقابل الماركسية، يقف الاسلام. فخلال الثورة الاسلامية في ايران

حمل الاسلام لواء الثورة، وحقق النصر للجماهير بشعار «الله اكبر». وهذا الاسلام لايشبه الاسلام الذي كانوا يتحدثون عنه في عهد النظام الملكي. وعندما قال الامام الخميني: «انهم لايعرفون الاسلام» فان الاسلام في ذلك الوقت لم تكن له ديناميكية حقيقية، كما لم يكن قادراً على الإعلان عن حقيقته.

لكن وخلال أربع سنوات من عمر هذه الثورة، أصبح الاسلام معروفا، وان الجماهير التي كانت تتبعه برغبة شديدة، رأت أحلامها وآمالها كامنة في هذا الاسلام. لذلك يجب البحث عن دليل وحدة الأغلبية الساحقة من الناس وانسجامها ورغبتها الشديدة في الحقيقة التالية، وهي: أن الجمهورية الاسلامية تأسست بفضل قيادة الامام.

ان المؤسسات الاسلامية ظهرت بتأييد الأغلبية الساحقة من الجماهير، حيث لبّت الجماهير المليونية نداء الامام الخميني. وفي الحقيقة ان شمولية هذه الثورة لامثيل لها في التاريخ.

رعب الشرق والغرب من الثورة الاسلامية في ايران:

ان درجة التضحية والشهادة والايثار خلال الحرب والثورة والنضال ــ سواء من قبل الجماهير أو من قبل المسؤولين ــ لم يكن لها نظير، وان الأصول الدينية والسياسية والاجتماعية للثورة الاسلامية مثل؛ ولاية الفقيه، والجمهورية الاسلامية، ومجلس الشورى الاسلامي، والتصدي للاستكبار العالمي، وحماية مستضعفي المجتمع، ومبدأ «لاشرقية لاغربية» قد حظيت بتأييد الأكثرية الساحقة من الجماهير. اما صمود الثورة الاسلامية فيعزى الى تلاحم الامام والأمة، اي القيادة والجماهير.

ويتمثل المبدأ الاساسي لسياسة الجمهورية الاسلامية الخارجية بمبدأ «لاشرقية لاغربية». وهذا المبدأ هو ضد توسع القوة العظمى الغربية أي الامبريالية الاميركية، والقوة العظمى الشرقية أي الاتحاد السوفيتي.

وفي الوقت الذى تخوض الجمهورية الاسلامية نضالا ضد الامبريالية الأميركية في المنطقة وفي «اسرائيل» ولبنان والعراق، وضد الاتحاد السوفيتي في افغانستان والعراق، فان الارادة القوية للشعب الايراني المؤمن تستلزم النضال ضد

هاتين القوتين العظميين اللتين لهما جذور كثيرة في العالم.

ان مبدأ «لاشرقية لاغربية» هوأساس متين لاستقلال ايران. ففي ظل هذا المبدأ فتحت ايران الاسلام صفحة جديدة ومشرقة من تاريخ البلاد والعالم، واليوم فان الثورة الاسلامية في ايران تثير قلق الشرق والغرب ورعبهما. انهما يخشيان أن يؤدي التأثير العميق لهذه السياسة في العالم المضطهد الى تقليص نفوذهما بمرور الزمن.

الاتحاد السوفيتي يحمي البهلويين وصداماً:

ان الشعب الايراني مستاءٌ من سياسة الاتحاد السوفيتي، فلو تصفحنا التاريخ لرأينا ان الدبلوماسية السوفيتية كانت في اكثر الأحيان معادية لآمال هذا الشعب وطموحاته. على سبيل المثال لِنَرَ كيف جاء رضاخان الى السلطة؟

كان رضا خان عميلا للامبريالية البريطانية، غير أنه استطاع بمساعدة الاتحاد السوفيتي والايرانيين المرتبطين بهذا البلد ان يهيئ الأجواء اللازمة للتربع على العرش و يسلط الخيانة البهلوية على بلادنا لمدة ٥٧ عاماً.

و بعد «رضا خان» بدأ ابنه محمد رضا يحظى هوالآخر بمساعدات الاتحاد السوفيتي. وقد دعي محمد رضا واخته اشرف عدة مرات لزيارة الاتحاد السوفيتي، في حين ان اكثر معارضي النظام الدكتاتوري كانوا يعذبون ويموتون على يد جلاوزة الشاه.

و خلال عهد الجمهورية الاسلامية، بدأ الاتحاد السوفيتي بتسليح نظام صدام المجرم.

و لقد أدى القصف العراقي بالقنابل والصواريخ الى هدم مدن: مسجد سليمان، ودزفول، وبهبهان، ومريوان، وسردشت، و بانه، ونهاوند، ورامهرمز وأنديمشك.

ان صداماً قام في ظل تسليحه من قبل القوى الكبرى ــ من جملتها الاتحاد السوفيتي ــ بقتل مئات الآلاف من الناس الأبرياء والفقراء. ونتيجة للهجمات الصاروخية سقط الاطفال الأبرياء في المدارس مضرجين بدمائهم.

في بداية الحرب التزم الاتحاد السوفيتي سياسة الحياد ازاء المعتدي (أي

صدام و حكومته البعثية) وازاء الجمهورية الاسلامية، في حين ان الحياد ازاء المعتدي والمدافع هو في الحقيقة تأييد للمعتدي. وبمرور الزمن انكشف الستار عن هذه السياسة و بدأ الاتحاد السوفيتي يدافع علانية عن صدام.

ان المعاهدة التي أبرمت بين العراق والاتحاد السوفيتي لمدة خمسة عشر عاما تحدد ـ في الظاهر ـ استخدام الاسلحة التي يبيعها الاتحاد السوفيتي لصدام، غير ان هذا الكلام ليس الاشعارا وادعاءً باطلا. على سبيل المثال ان هذا القانون كان يُراعىٰ بشكل أكيد حول سوريا في دفاعها عن وادي البقاع امام اسرائيل، غير أنه لم تتم توصية العراق بعدم استخدام السلاح ضد ايران.

وفي افغانستان وبهدف دعم النظام الذي لايحظى بتأييد الشعب، انزل الاتحاد السوفيتي قواته في هذه البلاد، وهو يواصل منذ عدة سنوات حربه ضد المجاهدين المسلمين.

هذه السياسة لاقت استنكارا عالمياً وحتى من قبل الذين لايعادون ولايعارضون الاتحاد السوفيتي.

وخلال النشاطات الأخيرة لحزب توده المنحل، فان تجسس الاتحاد السوفيتي على حكومة الجمهورية الاسلامية كان بحد ذاته جريمة سافرة، اما التجسس في اطار حزب يدّعي الصداقة مع الاتحاد السوفيتي فهو جريمة أخرى لايمكن السكوت عليها مطلقا. و من هنا فان الشعب الايراني يرفض و بشدة دبلوماسية القوة العظمى الشرقية من كل جوانبها. ولهذا السبب فان شعار «الموت للاتحاد السوفيتي» الاستراتيجي ينطلق جنباً الى جنب مع شعار «الموت لأميركا».

التغيير الذي حصل في داخلي:

مثلما قلت مسبقاً فان التغييرات التي طرأت على حزب توده المنحل، أدت الى تغيير معنوياتي، حيث بدأت اليوم أخطو في طريق الاسلام. والشخص الذي يعترف بالاسلام و يقبله، عليه قبل كل شيء ان يعترف بوجود الباري تعالى.

وهناك طرق متعددة لاثبات وجود الله، بعضها عقلية، و بعضها الآخر شهودية وعاطفية، وهناك أيضاً طرق عقلية وفي نفس الوقت عاطفية. و يوجد من

بين هذه الطرق، طريق أساس بيّنه القرآن الكريم، وهو لفت أنظار العباد الى الآيات والعلائم الموجودة في السماء والأرض والتي تحكي عن قدرة غيبية عظيمة، و يؤدي التدبر فيها الى التذكر والتعقل.

ومن الآيات البيّنات لوجود الله هي مايسميها العرفاء بمبدأ السبب والمسبب، إذْ ان أساس الخلقة يقوم على السببية والعلية. وهذه العلية تأتي من ناحية العلم المحدود للانسان الذي لايرى الأشياء الخفية. فقد تتوفر أسباب كثيرة لوقوع حادثة، ولكنَّ العلة النهائية المتمثلة بالفاعل المقتدر قد تزيل تلك الأسباب. أو لايكون هناك في بعض الأحيان سبب ــ في الظاهر ــ لوقوع حادثةٍ ما، إلَّا أن الفاعل المقتدر يفعل ذلك الأمر وسط دهشة العالم، حيث ينتخب من بين الحوادث، ومن بين الأسباب والعلل واحدة فقط و يسوق هدايته المتناسبة مع الغائية في ذلك المسير. وفي هذا النوع من الإستدلال يكون العقل مرافقاً للقلب، ولاينفصل السلوك العقلي عن السلوك القلبي والعاطفي.

لقد وقعت الثورة الإسلامية في وقتٍ كانت فيه ايران غارقة في الكفر والفساد وأسيرة بيد النظام الملكي والامبريالية الأميركية. لذلك فانَّ ظهور الاستعداد والتحول في معنويات الناس لقبول الشهادة والتضحية والإيثار كان في الحقيقة حادثة محيرة ومعجزة، لم يثر دهشة النظام الدكتاتوري السابق فحسب، بل أثار دهشة العالم أجمع. وهذه الثورة تشكل نموذجاً لنظام السبب والمسبب. كما ويمكن عزو سبب فشل جميع الحكومات والفئات بما فيها حزب توده المنحل في القضاء على الثورة الاسلامية الى نظام العلية أيضاً. فهناك يد أقوى من جميع الأيدي، تجعل المستحيل ــ بنظر البعض ــ ممكناً، وتمنع وقوع أمر يراه البعض قابلاً للوقوع. وهذه ليست أُموراً يمكن للعقول العادية ان تدركها، بل هي أعلى من ذلك. وفي مبدأ العلة والمعلول أو السبب والمسبب الذي نسميه آية الهية، يمكن لنا عبر تحقق هذه الحكومة الإلهية، والعظمة العرفانية لشهادة الناس، والقيادة الحكيمة للإمام أن نشاهد التجلي الإلهي.

إنَّ الجمهورية الإسلامية لم تعتبر العبادة والسياسة من وظائف المسلمين فحسب، بل أضفت على الأمور العبادية طابعاً سياسياً. فالأمور العبادية في مجتمع يكون الدين فيه منفصلاً عن السياسة ليست إلَّا أُموراً خاصة بالمؤمن، لكن حين

يتبدل الدين الى آيديولوجية حاكمة، تصبح الواجبات والآداب العبادية آنئذٍ ذات أبعاد عظيمة، وتبدأ بتنظيم تصرفات الناس، وتشكل قدرة روحية ومعنوية للعمل والحرب والدراسة والتحقيق.

في مثل هذه الحالة لا تكون الواجبات والآداب العبادية أُموراً خاصة أو ثواباً فردياً، بل هي وظيفة تقوم الحكومة الإلهية من خلالها بارشادنا الى الطريق الذي تراه صحيحاً. وهذا الإشراف لايتم في داخلنا بواسطة مسؤولي الحكومة، بل بمساعدة الإيمان الديني. أما منشأ هذا الإيمان الديني فهو فطرة الانسان أو شعوره الحقي الذي يوجد حب الله في نفسه.

ولم تكن هناك ــ والى هذا اليوم ــ حكومة تملك مثل هذا الإشراف الداخلي في بواطن أتباعها. ومثل هذا الإشراف يوجد سلسلة من الفوائد التي تعمل على توفير التنسيق والصلح والصفاء بين الإنسان والعالم من جهة و بين الإنسان والإنسانية من جهة أخرى، و بذلك تصبح الأُمور العبادية في ظل الجمهورية الإسلامية ذات أبعاد سياسية واسعة، مما تساعد على سمو الأخلاق الإجتماعية وظهور الالتزام والزهد بين المؤمنين أزاء أنفسهم وأزاء ولاية الفقيه. وهذا الأمر يضيف بُعداً معنوياً لمجتمعنا، لايمكن للعبادات المنفصلة عن السياسة ولاالسياسة المنفصلة عن العبادات أنْ تحلَّ محله.

و بواسطة هذا الإشراف المعنوي الذي تعتبر القدسية خصيصة مميزة له، تستطيع الجمهورية الإسلامية أنْ تدَّعي بأنها تسيطر على قلوب الناس، بحيث يتعاطفون معها من الصميم.

والآيديولوجية الماركسية لن تستطيع في أي بلد كان أن تنال هذه المنزلة، وهذا أمر ثبتت حقيقته خلال السنين الأخيرة.

نصيحة الى الشباب:

وفي الختام أُريد أنْ أتحدث بعض الشيء الى الشباب، خاصة الذين لهم مايسمى بالميول اليسارية.

أُنظروا المصير الذي آل اليه حزب توده المنحل بعد أربعين سنة. إنه

آنتهى الى التجسس، وتشكيل منظمة سرية، والسعي للإطاحة بالجمهورية الإسلامية، و بالتالي الفشل والسقوط. وهذا هو مصير الحزب الذي آختار لنفسه المؤامرات والازدواجية.

إنَّ التنظيمات التي تبقى منزوية، وتخطو في طريق غير طريق الجماهير، تضطر ــ لامحالة ــ للسير في طريق غير صحيح.

الثقافة الاسلامية، ثقافة غير محدودة:

أثبتت التجارب التاريخية أن الماركسية لم تستطع أنْ تفعل شيئاً في بلادنا. وان التوعية الماركسية سواء من ناحية المباحث الفلسفية، أو من الناحية الإجتماعية لن تعود علينا بأية فائدة، لأنها عقيمة وغير مثمرة.

إنَّ أول ماتقوم به الماركسية هو نفيها للدين. وهذا مايشل حركتها، إذْ أن علاقتها بالناس المسلمين والمؤمنين تنقطع كلياً في مثل هذه الحالة، ومهما أطلقت من شعارات بعد ذلك فلن يصدقها الناس مطلقاً.

وفي عهد النظام السابق، وفي ظل دكتاتورية العائلة البهلوية وضغوط أميركا، كانت الإشتراكية شمعة كاذبة، لم تجذب اليها سوى عدد من الجهلة. لكن و بعد أنْ سطعت شمس الثورة الإسلامية، فمن العبث أن نستبدل جوهرتنا ببضاعة غير معروفة.

انفتحوا على الثقافة والمعارف الإسلامية، ففي الثقافة الإسلامية العميقة مجال واسع وفياض للمطالعة والتعلم والنضال والعمل. وان الرجال العظماء أمثال الفارابي وابن سينا والسهروردي والخواجة نصيرالدين الطوسي وميرداماد وملاصدرا والسبزواري وأمثالهم، كل هؤلاء غرضوا الفلسفة الإسلامية على الراغبين فيها.

ومن بين هؤلاء يعتبر صدرالدين الشيرازي المشهور بـ «ملاصدرا» معلماً من الدرجة الأولى للشباب الذين يريدون دراسة فلسفة بديعة ومنطقية وعميقة ومنقطعة النظير.

ويمكن في مجال الفلسفة الإسلامية الإستفادة كثيراً من آثار المؤلفين المعاصرين مثل العلامة الطباطبائي والشهيد المطهري والاستاذ محمد تقي الجعفري

والشخصيات الأُخرى. و بالخصوص يلزم قراءة عشرات الآثار القيِّمة التي تركها لنا الشهيد المطهري، لأنَّ الشهيد المطهري عرض في آثاره، الآيديولوجية الإسلامية بشكلٍ كاملٍ ودافع عنها حق دفاع.

والثقافة الإسلامية الواسعة غير محددة بالفلسفة فقط، لأنها تشمل مجالات مختلفة. وأينما تذهبوا تروا ثقافتكم ومعارفكم، لكنكم غرباء في أجوائها. إنها تساعدكم على التحرر من الثقافات الغربية والشرقية الفارغة. اما الإنغماس في المباحث الماركسية الجدلية فيؤدي الى الإبتعاد عن الثقافة والمعارف الإسلامية و يدل على أنَّ فاعله لايريد أنْ يكون مفيداً لشعبه ومعتقداته الدينية، وهو من عداد فئة صغيرة تتحدث بلغة غير مفهومة، وتشعر بالارتياح لأنَّ الناس لايفهمون لغتها.

والثقافات الأجنبية تفصل الانسان عن ثقافته الدينية والايرانية. فخلال السنوات الخمسين الماضية قامت الثقافات الغربية والشرقية، مع السياسات الاستعمارية بتجريد حياتنا المعنوية من الأصالة الحقيقية،و بذلك أصبحنا غرباءَ عن ثقافتنا.

في ثقافتنا الأصيلة يعتبر التعرف على الملاصدرا واجبا ملزماً للأشخاص الذين لهم رغبة شديدة في المباحث الفلسفية، لأنَّ أهم وأروع مبحث في فلسفة الملاصدرا هو ربط الطبيعة بماوراءها، وعرض هذه المسألة المعقدة بأُسلوب بسيط.

والفلسفة المادية التي تبعد الانسان عن الحقائق الأصيلة وذلك بانكارها لمسألة العلاقة بين الطبيعة وماوراء الطبيعة، هذه الفلسفة تعمل على سقوط الانسان منذ اللحظة الأولى.

ومن أراد أن يتفاعل مع الناس، و يكون معهم، فإنَّ التجاوب الفكري معهم هو شرط مهم في هذا المجال. غير أن المادية التاريخية تطرح نظريةً حول المجتمع والتاريخ بشكل تقطع معه منذ البداية أية صلة بالناس.

إنَّ تاريخ الصراع الطبقي يمكن تلخيصه بعدة نماذج، مثل نضال اسبارتاكوس، وفاتيلور، وتوماس و ينسر، وبوكاجو. ومع أنَّ في الشيعة شخصيات مرموقة، ضحَّت في سبيل الله والانسانية فإن المادية التاريخية لم تشر مطلقاً الى أيٍّ منهم.

و أبناء شعبنا لا تربطهم علاقة قلبية بهؤلاء الشهداء فحسب، بل هم ـ مثلما أثبتت تجارب الثورة الاسلامية ـ مستعدون للتضحية بأنفسهم في سبيل الثورة والجمهورية الاسلامية.

و ان الدم والشهادة لن يصلا الى المنزلة التي وصل اليها الإمام الشهيد أبو عبد الله الحسين«ع».

النتيجة:

والآن أُلخص نتيجة هذه الاستدلالات ببعض العبارات:

إنني سرت في طريق الماركسية منذ بداية شبابي وحتى يومي هذا برغبة شديدة، لكنني لم أُحقق شيئاً. فأطرافي كانت مليئة إمّا بالخيانة وإمّا بالضلالة. فلا الخائن يصل الى نتيجة ولا الانسان الضالّ يحقق هدفاً. والماركسية في النظرية والتطبيق هي جبل من الأخطاء التي يعرضها تاريخ الحزب الشيوعي الايراني وحزب توده المنحل.

أنتم ياجيل الشباب الذين لكم رغبة في السياسة، انظروا جيداً أي شخص يتحدث أمامكم. لايمكن القول إنه (يقصد نفسه) لايعي الماركسية ولم يرها في التطبيق. انه أمضى أربعين سنة في حزب توده المنحل. انه نجا من مكائد كثيرة، وتحمَّل ألوان المصائب، وها هو اليوم يتحدث اليكم عن تلك المشاهد والأقوال.

إنَّ وقوع حزب توده المنحل في الأخطاء تلو الأخرى، هو ذنب لايغتفر، كما أن السير من جديد في طريق الماركسية هو ذنب أكبر. ولذلك فانني باعتباري أحد أعضاء حزب توده المنحل اغتنم هذه الفرصة لأحذر المستمعين من الطريق الذي سرت فيه والذي لم أجنِ منه سوى المصائب.

و بقدر ماتكون المعرفة العلمية للعالم والمجتمع ضرورية لجيل الشباب، فإنَّ هذا الجيل يحتاج الى الإيمان بشدة. والايمان حاجة ملحة لا تنشأ من المحيط المادي، بل من المحيط الروحي والمعنوي، ان الاسلام هو الذي يوجد الإيمان لدى الإنسان. والنتيجة الحاصلة هي وجوب السير في طريق واسع يكون فيه الامام والشعب متلاحمين. سيروا في طريق يمضي فيه الجميع نحو الفخر والعزة والحقيقة والنصر،

ولا تسيروا في طريقٍ منحرفٍ، لأنَّ مثل هذا الطريق يكون مليئاً بالوحوش المؤذية والأشخاص المتحايلين. سيروا في الطريق الواسع الذي تسير فيه الجماهير المليونية وراء قائدها.

هذه هي نصيحتي القلبية لكم، آملاً أنْ تجد مكاناً لها في قلوبكم الطاهرة، وتلفت نظركم الى واجباتكم الدينية والوطنية، لتمضوا جميعاً نحو الاستقلال والحرية والجمهورية الاسلامية وتبذلوا التضحيات في هذا الطريق العظيم.

وبديهي أن المصير المحتَّم لجميع الأحزاب والمنظمات الكارتونية التي تفتقر الى العقيدة الإلهية، وليست لها قاعدة بين الناس، لن يكون سوى التبعية والخيانة والتجسس، وبالتالي السقوط والاضمحلال. والمنافقون والليبراليون وبقية التنظيمات والأحزاب اليسارية واليمينية الخائنة هي نموذج لذلك. واستناداً الى هذا الأصل فان المنافقين أصبحوا بعد التجسس لصالح الاتحاد السوفيتي من خلال «سعادتي»[14] آلة بيد الإمبريالية الأميركية.

إنَّ القاء نظرة على الطريق الذي سرت فيه، يدعو الى العبرة، ويوجد الشعور بالحزن والأسى والأسف والندم لدى الشخص. فلقد ضاع عمر طويل، ولايمكن بعد الآن التفاؤل بهذه الحياة التعسة.

علينا أنْ نتضرع للإمام الخميني ونطلب العفو منه على ماقلنا به، ونستفيد من ارشاداته القيِّمة.

«إلاّ الذين تابوا وأصلحوا وبيَّنوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم».

الهوامش:

١ ــ والد الشاه المقبور محمد رضا بهلوي.

٢ ــ اول سكرتير عام لحزب توده.

٣ ــ بالفارسية: «نوشتهاى فلسفي».

٤ ــ بالفارسية: «بررسيهائى دربارهٔ جهان بينى ها و جنبشهاى اجتماعى در ايران».

٥ ــ بالفارسية: «ايران در دو سده واپسين».

٦ ــ بالفارسية: «بنياد آموزش انقلاب».

٧ ــ سبقت الاشارة الى هذه الكتب في باب «حياتي ودراساتي».

٨ ــ كلمة فارسية معربها «المحكمة».

٩ ــ كلمة فارسية معربها «البهائيون».

١٠ ــ طبع أخيراً من قبل منظمة الاعلام الاسلامي باسم «الرؤية الكونية التوحيدية».

* GENETICS

** CYBERNETICS

١١ ــ الكتاب باللغة الروسية لـ «بطروشوفسكي» وقد ترجم الى اللغة الفارسية وطبع باسم «اسلام در ايران».

١٢ ــ بالفارسية: «ايران از دوران باستان تا سدهٔ هيجدهم ميلادى».

١٣ ــ بالفارسية: «تاريخ نوين ايران».

١٤ ــ محمد رضا سعادتي من قادة منظمة «مجاهدي خلق» حكم عليه بالسجن لعشر سنوات بتهمة التجسس لصالح الاتحاد السوفيتي، وفي السجن دبر عملية اغتيال احد حراس الثورة فحكم عليه بالاعدام ونفذ الحكم فيه. وقد اعترف بتجسسه لصالح الاتحاد السوفيتي وأنه كان بايعاز من المنظمة المذكورة.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
تاريخ حزب توده	٧
المرحلة الأولى: تأسيس الحزب الشيوعي الايراني	١١
• ارتباط الشيوعيين بالسياسة السوفيتية	١٢
• خيانة الشوعيين لحركة الغابة	١٤
• دعم الشيوعيين لحركة رضاخان	١٥
المرحلة الثانية: تأسيس حزب توده	١٧
• حزب توده وامتياز نفط الشمال	١٨
• موقف حزب توده من انفصال آذربايجان الايرانية	١٩
• اشتراك حزب توده في حكومة قوام	٢٠
• موقف حزب توده والدولة (الأم) من تأميم النفط الايراني	٢١
• اثارة الاضطرابات بوجه الحكومة الوطنية	٢٣
المرحلة الثالثة: مرحلة البطالة	٢٧
• حزب توده يعترف	٢٧
• انهزام القيادة	٣٠
• تبديد طاقات الامة الاسلامية	٣١
• توده يمهد للسيطرة الأميركية	٣٣
• حزب توده يساند سلطة الشاه	٣٤
• الساواك يقود توده	٣٥
المرحلة الرابعة: توده في مواجهة الاسلام والجمهورية الاسلامية	٣٧
• حزب توده والاسلام	٣٨
• نشاطات حزب توده في هذه المرحلة — اعادة التنظيم	٤٢
الدعوة الى الكفاح المسلح	٤٣
الاعلان عن تأييد نظام الجمهورية الاسلامية	٤٤

اعلام توده ٤٥
جذب قوى اليسار ٤٦
اقتعال الواجهات ٤٨
التظاهر بالاخلاص والوطنية ٤٨
النفوذ في مراكز الدولة ٤٩
محاولة شق صفوف المسلمين ٥٠
محاولة جز الثورة الاسلامية الى اليسار ٥٠
• احتراق الاوراق ٥١
ورقة الفكر الثوري ٥١
ورقة محاربة أميركا ٥٢
ورقة مناصرة الكادحين ٥٣
ورقة الدفاع عن الاتحاد السوفيتي ٥٤
ورقة الدفاع عن الجمهورية الاسلامية ٥٤
الانهيار التام
• به آذين يعترف ٦٣
• اعترافات كيانوري ٦٦
• خمسة من اعضاء اللجنة المركزية يعترفون ٦٩
الاول: قائم حسن بناه ٦٩
• مواقف السوفيت المصلحية ٧٠
خيانة الحزب للثورة الاسلامية ٧٢
الثاني: رفعت محمدزاده ٧٣
الثالث: احمد علي رصدي ٧٣
الرابع: كاكيك اوانسيان ٧٤
الخامس: كيومرت زرشناس ٧٤
• اعترافات محمد علي عموئي ٧٥
اعلان حل حزب توده ٧٦
نداء الى انصار الحزب ٧٦
• اعترافات الطاولة المستديرة ٧٩
الحلقة الاولى: حول تاريخ الحزب ٧٩
ضجيج الاعلام المضاد ٨٤
اسباب سقوط توده ٨٧
فضائح حزب توده ٩١

جمهورية آذربايجان الديمقراطية ٩٣
الشيوعية وايران ٩٥
* الحلقة الثانية: التجسس ٩٧
الحزب ألعوبة بيد السوفيت ٩٩
في السجن واجهنا الحقيقة ١٠٠
السوفيت يطلبون معلومات عسكرية خاصة ١٠١
الشيوعية ترفض القيم ١٠٣
السياسة المصلحية لا المبدائية ١٠٨
* الحلقة الثالثة: مواقف حزب توده من الثورة الاسلامية ١١١
الاهداف التكتيكية للحزب ١١٢
الاهداف الستراتيجية للحزب ١١٣
* كلمة الختام لعموئي .....
* الهوامش ..... ١١٩ ـ ١٢٤
الاعترافات الكاملة لـ(منظر حزب توده المنحل) (احسان طبري) ١٢٥
* حياتي ودراساتي .....
* الملف الاسود لحزب توده ١٣٠
* الفكر الماركسي مليء بالخداع ١٣١
* الكتب التي ألفتها حول الاسلام مزيفة ١٣١
* تآمر الشرق والغرب على الاسلام ١٣٢
* لماذا أنتقدُ الماركسية؟ ١٣٣
* هل هناك صحة لادعاء عملية الماركسية ١٣٤
* الميكافيلية ١٣٧
* الحزب ١٣٩
* الاممية ١٤١
* الاخلاق في الاتحاد السوفيتي ١٤٣
* نموذجان ١٤٤
* التاريخ والجزم الماركسي ١٤٦
* رعب الشرق والغرب من الثورة الاسلامية في ايران ١٤٩
* الاتحاد السوفيتي يحمي البهلويين وصداما ١٥٠
* التغيير الذي حصل في داخلي ١٥١
* نصيحة الى الشباب ١٥٣
* الثقافة الاسلامية ثقافة غير محدودة ١٥٤

• النتيجة ١٥٦
• الهوامش ١٥٨